مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ XPIΣTOY

عدد: 84 Issue No:
آب 2014 August

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

تجلي ربنا يسوع المسيح المقدس
على طور تابور

لقد أراد الربّ أن يقتدي تلاميذه، بالواحد في محبته لشعبه وبالآخر في شجاعته القويّة حتى ما يصبحوا جميعهم لطفاء كموسى وغيورين كإيليا بل أراد إنّهم يتفوّقون عليهم في فضائلهم (القديس يوحنا الذهبي الفم)

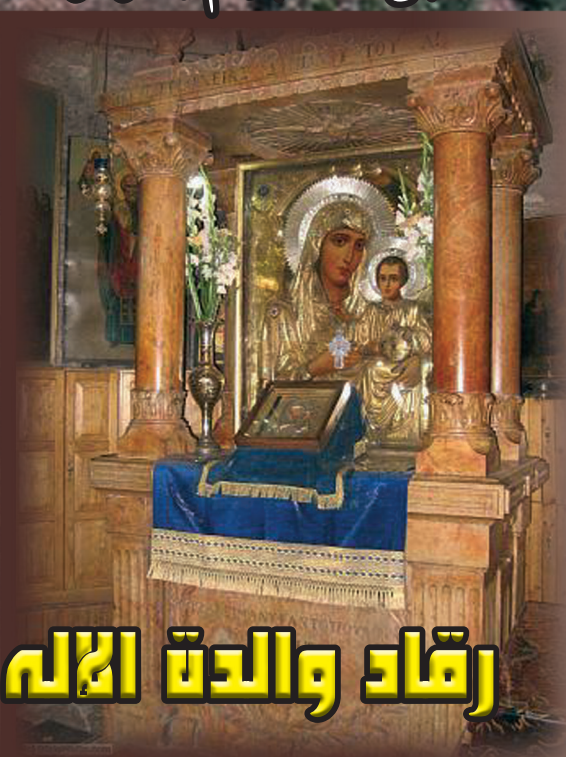

رقاد والدة الإله العذراء وانتقالها الى السماء

الإستعداد للأبديّة

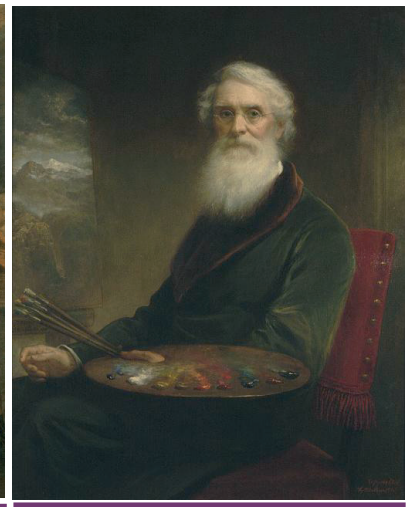

واشنطون ألستون الفنان والرسام العبقري

النبيّ دانيال يؤنّب الملك بيلشاصر لإستعماله الأواني المقدسة بالشرب والعربدة

لقد تحدّى بيلشاصر إله السماء، بإحضار الأواني المقدّسة واستخدامها في شرب الخمر والسُكر والعربدة. فظهرت اليد الإلهيّة لتكتب نهايته وتقول له: «وُزِنتَ بالموازين فوُجِدتَ ناقصاً» (دا ٥: ٢٧) ، وهذه الكتابة الإلهيّة تُفزِع أعتى الخطاة ..

أنّ رساماً أمريكيّاً يدعى **واشنطون ألستون** قضَى سنوات كثيرة يرسم حفل **بيلشاصر** دون أن يتمكن من إتمـــام الصورة التي رسمت بالزيت على قطعة قماش. مع أنّه رسامٌ عبقريٌّ وفنّان.

فما السبب في عدم تمكنه من إتمام الصورة ؟

لقد كانت العقبة الرئيسية أمامه هي عجزه عن إبراز **الفزع الشديد واليأس الرهيب** الذي استولى على الملك وظهر على قسمات وجهه. وهذه الصورة محفوظة في متحف الفنون في بوسطن. وهي تكشف بالعمل الناقص عن عجز الإنسان مهما كانت عبقريته وقدرته عن تصوير الفزع الذي يلاحق الخاطىء ملاحقة أبديّة.

و «في تلك الليلة قُتِلَ بيلشاصر» (دا٥: ٣٠). وذهب إلى فزعه الأبدي.

إنها أتعس ما تكون نهاية القصة والمأساة لأي إنسان أحسن ظنه بالأيام والليالي. ولم يدري أن الزمن متقلّب ومفاجآت الحياة للأشرار دونها مفاجأة.

وويلٌ للإنسان الذي لا يغتنم نهاره قبل أن يأتي الظلام الدامس في الرمس، عندما تنتهي خدمته في هذه الحياة.

قال أحد شيوخ البرية :

يجب أن يظلّ فكرك عالقاً بقبرك كما لو كنتَ ستموت حالاً، أو كما لو كان الموت يلاحقك. كل يوم.

«اللّهم أصغِ الى معونتي. يا ربّ أسرع إلى إغاثتي» (مز ٦٩)

إنّ هذه الآية لم تُنتخب جزافاً بل بعد خبرة، لأنها تتوافق مع كل ظروف الحياة البشريّة. فهي تحمل تضرعاً الى اللّه مقابل كل الأخطار والضيقات وتحمل أيضاً إعترافاً منسحقاً بالعجز واهتماماً متيقظاً ومخافة دائمة. فهي تشير الى إحساس الفرد بضعفه مع ثقة في الإستجابة وتأكيد بأن المعونة حاضرة سريعة. وهي تشير خفيّاً الى قُرب اللّه منا وأنه كل حين حاضر معنا يستمع الينا.

إنّ هذه الصلاة القصيرة حربٌ شعواء ضدّ عدونا. فعندما يصرخ بها المسكين حينما تحوط به الأعداء يأتي القدير سريعاً ليبدّد مشورتهم ويفرّق شملهم. إنّ هذه الصلاة لهي بمثابة إثني عشر جيشاً من الملائكة بمركباتٍ وفرسانٍ من نار.

محتويات العدد

الإستعداد للأبديّة	2
اللهم أصغ الى معونتي	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث	3
طرق الصيد	4
لمن أنت	5
تذكار القديس إيليا النبي للقديس نيقوديموس	6
الشماسة فيبي	9
العناية الإلهيّة للقديس يوحنا الذهبي الفم	10
الصلاة في المزامير للقديس يوحنا الذهبي الفم	12
عيد التجلي للقديس نيقوديموس	14
الشياطين تخاف من ...	17
الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور	18
العظات الثمانية عشرة للقديس كيرلس الأورشليمي	19
رقاد والدة الإله للقديس يوحنا الذهبي الفم	20
الراهب واللصوص	21
العهد القديم (٦٨)	22
القديسة باراسكيفي والملك	22
قصة من الواقع السم الزعاف	23
مكارم الأخلاق	23
الغلاف الأخير أقدم ترنيمة لوالدة الإله	

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة تجلي ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل ثابور

«وبعد ستّة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاهُ وصَعِدَ بهم إلى جبل عالٍ منفردين، وتغيّرت هيئته قدّامهم، وأضاءَ وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنّور» (متى١٧:١-٢) ، كما شهد بذلك الإنجيليين .

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّو العبادة .

كنيسة المسيح المقدّسة تحتفل اليوم في حدث هذا العيد الحقيقي البَهِج ، الذي سطّره التاريخ بأحرف من ذهب كونه حقيقة تاريخية ثابتة وأصيلة ، تمّت في هذا المكان المقدس المميّز والفريد بنوعه . إذ على قمة هذا الجبل الشهير والمدعوّ بطور ثابور، تجلّى ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

«تجلّى أمام تلاميذه الأطهار ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور» (متى١٧:٢).

وعن تجلّي الربّ على جبل تابور يقول **القديس يوحنا الدمشقي**:

« تجلّى أمام تلاميذه ذاك الذي دائماً ممجّداً مع ذات ونفس المجد، ويلمع أيضاً مع برق اللاهوت ... تجلّى الربّ دون أن يتّخذ ما لم يكن لديه ، ودون أن يتغيّر إلى ما لم يكن ، بل كاشفاً لتلاميذه عمّا كان موجوداً بعد أن فتح أعيُنهم وبعد أن جعلهم يبصرون وهم عميان. أرأيتم كيف أنّ العيون بحسب الطبيعة هي مطفأة بالنسبة إلى ذلك النور ؟ لهذا لم يكن ذلك النور محسوساً ولا كان النّاظرون يُشاهدونه بأعينهم الحسيّة ، بل بأعينٍ نسجتها قوّة الرّوح القدس».

يقول **القديس غريغوريوس پالاماس** عن المسيح ، تجلّى ليس لكي يقتني شيئاً جديداً ، لم يكن لديه سابقاً ، ولم يتغيّر لشيء لم يَكُنْهُ ، لكنه بالطريقة التي أظهرها لتلاميذه ، فتح أعينهم لكي يبصروه كما كان هو ، بهذا فقد حوّل بصرهم من رؤية غير واضحة إلى رؤية جليّة .

بكلام آخر أيها الأحباء ؛ وبحسب القديس غريغوريوس پلاماس ،فالسيد المسيح لم يكشف ضيائه المستقرّ فيه ، لأن ضياء الطبيعة الإلهيّة كان محجوباً تحت ستار البشرية الإنسانيّة ، لذلك نور التجلّي هو ميزة اللاهوت ، أي النور غير المخلوق .

غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث

إن عين الإنسان الجسديّة هي عمياء بالنسبة للنور غير المخلوق ؛ وهذا النور هو نور غير ملموس ولا يخضع للحواس البشريّة ، فالتلاميذ الذين أبصروه ، لم يبصروه بعيونهم الجسديّة ، لكن أبصروه بالعيون التي كانت مهيأة من ذي قَبل ، بشكل موافق وملائم بنعمة الروح القدس. فبعدما إرتَقى بصرُهم بنعمة الروح القدس ، أُهِّلوا لهذه السمّة الإلهيّة ليعاينوا مجد اللاهوت .

إن الطبيعة البشريّة ـ التي أتخذها المسيح بالتجسّد ـ أصبحت مُشْتَرَكَةً باللاهوت ، فخاصيّة التغيير حيثُ شعّ نور اللاهوت في التَجلّي ، لم تحصل بشكل فجائيّ على جبل ثابور ،فقد تمّ الإتحاد بين اللاهوت والنّاسوت منذ التجسد الإلهي في أحشاء العذراء مريم بأخذه للطبيعة البشريّة من دمائها النقيّة، ففي هذا الإتحاد ألّه المسيح الطبيعة البشرية المتحدة بلاهوته في نفس إقنوم الكلمة.

ليتنا نعاين ما يقوله مرنّم الكنيسة:

«إنّ المرئيَّ إنسانٌ وأمّا الخَفيَّ فإلهٌ ، فالمسيح يصعد على جبل ثابور لكي يكشف عن شعاع لاهوته، بتألّق أشعة مجده التي تفوق نور الشمس بهاءً».

هذا الكَشف أو ظهور نور مجد اللاهوت، ما هو إلاّ النور الإلهيّ والسرمدي غير المخلوق. نور المجد الذي أظهره المسيح لتلاميذه كما يقول المرنّم: «تجليّت أيها المسيح الإله على الجبل، فأظهرت مجدك لتلاميذك حسبما استطاعوا». أي منحهم نعمة روحه القدوس ، هذا هو بالتدقيق نور المجد **لكنيستنا الأرثوذكسيّة المقدسة** ، وهو أيضاً غنى الملكوت الأبدي ..«أنا هو نور العالم ، من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة» (يو٨:١٢).

نحن المتواضعون وغيرُ المستحقين ، أصبحنا شركاءَ لنور الحياة؛ هذا النور الأبدي للاهوت المسيح المكنوز في سرّ مناولة الجسد والدم الإفخارستي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

أيها الأخوة الأحباء، اليوم في جبل تابور، يقول المرنّم: «**إنّنا بنورك أيها الكلمة النور الذي لا يستحيل ، المولود من الآب النور الغير المولود. رأينا الآب النور . والروح القدس النور الذي ينير الخليقة كلها**».

نتضرّع إلى ربّنا وإلهنا يسوع المسيح ومع مرنّم كنيستنا نقول: أيها المسيح الإله. يا من تجلّى على جبل ثابور. وأرى تلاميذهُ مجد لاهوتِه. أنرنا نحن أيضاً بنور معرفتك. وأهدِنا في سبيل وصاياك، بما أنّك وحدك الصالح والمحبّ البشر.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

طرق الصيد

ذهب أحد الخدّام ليخدم بين القبائل الأفريقيّة في الجنوب. وكان يخلط خدمته بانسكاب نفسه أمام اللّه في صلوات طويلة حارّة من أجل خلاص نفوس أهل هذه القبائل.

ولم تمضِ فترة قصيرة حتى وجدوه ساجداً في مخدعه وقد أسلَم روحه فِي يد خالقه.

وكان كلّ حصيلة خدمته هو قبول سيّدة عجوز الإيمان بالمسيح.

وتطلّع كثيرون إليه على أنه فشل في خدمته، لكن أحد المؤمنين كتب كتاباً صغيراً عن حياة هذا الخادم الذي كرّس حياته وبذل ذاته من أجل الخدمة.

بعد عدّة سنوات انضمّ الى حظيرة المسيح أكثر من ١٣٠٠٠ نسمة بسبب هذا الكتيب الذي يتحدث عن حياة هذا الخادم وسيرته الطاهرة.

صديقي القارىء:

لقد اصطاد هذا الخادم نفس واحدة **بسنارة** وعظه بينما أصطاد الألوف من النفوس **بشبكة طهارته وفضيلته**.

كانت حياته الفاضلة وسيرته الطاهرة هي الطُعم الذي جذب الكثيرين للإيمان بالمسيح.

إنّ العالم يحتاج إلى قديسين يكرزون بروح القوّة لا يحدّهم مكان ولا زمان لأن روح اللّه يعمل بهم.

إنّ هناك طريقتين مختلفتين في صيد السمك وهما:

الصيد بالسنارة ، والصيد بالشبكة.

فالصيد بالسنارة يجذب سمكة واحدة أما الصيد بالشبكة فيجذب سمكاً كثيراً.

وصيد الناس أيضاً بطريقتين:
الخدمة الفرديّة تجذب نفس واحدة.
والخدمة العامة تجذب نفوساً كثيرة.

ونجد هذا الفارق بين **أندراوس وبطرس** كصيادي الناس. **فأندراوس** كان من النوع الأول الذي يصطاد بالسنارة فهو الذي اصطاد **أخاه سمعان بطرس** ، فيقول الكتاب المقدس:

وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصَرَ أَخَوين: سمعان الذي يقال له بطرس، وأندراوس أخاه يُلقيان شبكة في البحر، فإنّهما كانا صيّادَيْن. فقال لهما: «هلُمَّ ورَائي فأجعلكما صَيَّادَيِ النَّاسِ» (متى٤:١٨-١٩).

«كان أندراوس أخو سمعان بطرس ... هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيّا. الذي تفسيره المسيح. فجاء به إلى يسوع» (يو١:٤٠-٤٢).

أما **بطرس** فكان من النوع الثاني الذي يصطاد بالشبكة فهو الذي اصطاد بشبكة وعظه في يوم الخمسين ثلاثة آلاف نفس.

إلاّ أنه لا ينبغي أن ننسى أن **بطرس** نفسه قد أمسكت به سنّارة **أندراوس** الذي قاده الى المسيح.

فقد تصطاد نفساً واحدة ولكن هذه النفس قد تكون سبباً في خلاص نفوس كثيرة.

إن مهمة صياد الناس هي إنتشال الإنسان الذي **يغرق في شهوات وملذّات بحر هذا العالم المضطرب**.

وإن قَضَى حياته كلها واصطاد خلالها نفس واحدة بسنّارته فقد تكون هذه النفس هي الخميرة التي ستخمّر العجين كلّه وتجذب نفوس كثيرة بعد انتقاله إلى السماء.

الخادم الناجح هو الذي تستمرّ الخدمة بغيابه

لمن أنت ؟

«لمن أنت» (تك٣٢:١٧)

جاء هذا السؤال على لسان يعقوب في حديثه مع خادمه عندما أرسله مقدماً أمامه بهدية لأخيه عيسو، ليستعطف وجهه بالهدية. ولكني أستمد هذا السؤال لأوجه لك أيها الأخ الحبيب شخصياً.

لمن أنت ؟

إذا شاهدت قصراً عظيماً وأعجبت به وسألت لمن هذا القصر؟ بالتأكيد ستجد له مالكاً. إذا رأيت سيارة فخمة وأعجبك شكلها. وسألت لمن هذه السيارة؟ وبالتأكيد ستعرف صاحبها. فكل شيء له قيمة لابدّ وأن يكون له مالك .. فمن هو مالك نفسك التي لها قيمة غالية عندك؟ لمن أنت؟ إسأل نفسك هذا السؤال وأجب عنه بإخلاص أمام ضميرك وأمام اللّه .. **لمن أنت ؟**

لو أراد البعض إجابة هذا السؤال بصدق سيقولون: (نحنُ ملك لذواتنا، حياتنا لأنفسنا، نحيا لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت) هؤلاء نفسانيون لا روح فيهم، شغلهم الشاغل وهمهم القاتل هو: ماذا يأكلون وماذا يشربون.

والبعض الآخر لو أجابوا بصدق يقولون: «نحن عبيد للخطية» (يو٨:٣٤). هؤلاء قد كبّلتهم الخطية بقيودها، وسادت عليهم الشهوة بسلطانها، واستعبدتهم العادات السيئة والأفكار الدنسة الباطلة. وملكت عليهم الخطية فصاروا عبيداً لها.

وآخرون يقولون: (نحن للخمر! للنجاسة! للقمار) هؤلاء المساكين عبيد أرقاء قد استولى عليهم سادة كثيرون. ولكن.. **لمن أنتَ** حقاً وشرعاً ؟

أنتَ ليسوع المسيح ..

هو المالك لنفسك **بحقّ الخليقة** لأن كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو١:٣)، فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض ... الكل به وله قد خُلِق (كو١:١٦).

تقدّم الكتبة والفريسيون والهيرودسيون ليجربوا الرب يسوع فسألوه: «أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟» ، فطلب الرب ديناراً وقال لهم: «لمن هذه الصورة والكتابة؟» فقالوا: لقيصر قال لهم: «أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه».

وهذا السؤال أيضاً موجّه إليك أيها القارىء مشيراً إلى ذاتك:

لمن هذه الصورة ؟ أهي للخمر ؟ أم للزنا ؟ أم للشرّ ؟

لا أيها الحبيب .. إنك صورة اللّه وشبهه فأعطِ إذاً ما للّه للّه. أعطِ نفسك للّه لأنه صاحبها ...

يقول البار أغسطينوس: ﴿كما يطلب قيصر صورته على العملة. هكذا يطلب اللّه صورته فينا﴾.

لمن أنت ؟

أنتَ ليسوع المسيح بحقّ الفداء والدم المسفوك على عود الصليب .. «فإنكم قد اشتريتم بثمن ... إنكم افتديتم لا بأشياء تفنى

بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس. دم المسيح» (١كو٦:٢٠)، (١بط١:١٨) ، (رو٧:٤)، (٢كو٥:١٥).

وكل مالك لشيء معيّن ، له حقّ التصرف فيه كيف شاء. وكذلك المسيح له الحق على نفسك وله أن يجري مشيئته الصالحة بكَ وفيكَ ولكَ وعليكَ: فهل **يملُك المسيح** فعلاً على قلبك وأفكارك وحياتك كلها؟ هل أنتَ مُلك لمن به ولهُ قد خُلقت؟يقول المثل: ﴿الحقّ لا يستريح إلا عند صاحبه﴾ .

وقد عَبَّر عن هذه الحقيقة البار أغسطينوس في مناجاته للفادي بقوله: ﴿ لقد خُلِقَ القلب لكَ ولا يجد راحته إلا فيك ... ستظل قلوبنا مضطربة قلقة إلَى أن تجد راحتها فيك﴾.

وقف زنجي بسيط في تجربة فصرخ في صلاته إلى اللّه قائلاً: (أسرع لمعونتي يا ربّ! ممتلكاتك في خطر) ، وكان يقصد بممتلكات الرب التي في خطر، أن نفسه هي التي في خطر، لأن نفسه كانت ملكاً للمسيح.

إن أملاك الملوك لا يجرؤ أحد أن يقترب إليها. فإذا كانت نفسك **مُلك لملك الملوك**، **فهل يجرؤ أحد على التعدي عليها** ؟ حقّـاً .. إن « الساكن في عون العالي في ستر اله السماء يسكن» (٩٠:١)... **فلمن أنتَ ؟**.

أجب على نفسك أمام اللّه وضميرك.

أعطني يا رب : أن أكون لكَ أنتَ وحدك وليس لأحد سواك

أعطني يا رب : أن أعطيك الحياة التي أعطيتها لي ..

أخي الحبيب لمن أنت ؟

هل أنتَ مُلك اللّه أم مُلك لذّاتك أم مُلك الخطية أم غير ذلك؟ هل أنتَ مُلك للسيّد المسيح الذي اشتراك بأعظم ثمن، بسفك دمه فوق خشبة الصليب؟ أم مُلك لسيّد آخر غيره؟

إذا لم تكن ملكاً للّه فَتُب وسَلِّم له حياتك. كثيرون يبنون قبورهم في حياتهم ومع ذلك لا يبنون نفوسهم ولا يتوبون عن شرّ أفعالهم.. يا للعجب هؤلاء ينطبق عليهم المثل القائل:

تُبنى قبـورنا قبل توبتنـا ،
ويـا ليتنا تُبـنا قبل أن تُبـنى.

تذكار القديس إيليا النبي

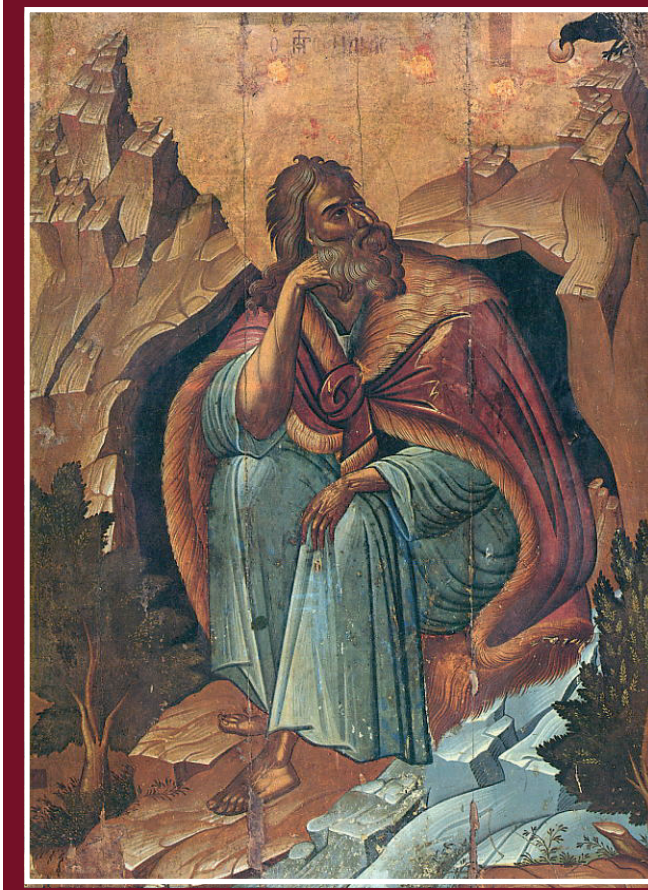

الصلاة، الاعتراف ومسحة الزيت

للقديس نيقوديموس الأثوسي

الرسالة

أنتَ الكاهن إلى الدهر على رتبة ملكي صادق قال الربُّ لربّي إجلس عن يميني

فصلٌ من رسالة القديس يعقوب الرسول الجامعة (٥ : ١٠- ٢٠)

يا إخوة اتّخذوا الأنبياء الذين تكلّموا باسم الرب قدوةً في إحتمال المشقّات وفي طول الأناة ❊ فانّا نطوّب الصابرين وقد سمعتم بصبر أيّوب ورأيتم عاقبة الربّ. لأنّ الربّ متحننٌ جداً ورؤوفٌ ❊ وقبل كلّ شيءٍ يا إخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسمٍ آخر. ولكن ليَكُنْ كلامكم نعَم نَعَم ولا لا لئلا تقعوا في الدينونة ❊ هل فيكم أحدٌ في مشقّات فليُصَلِّ أو في سرورٍ فليُرتّل ❊ هل فيكم مريضٌ فليدعُ قسوس الكنيسة وليصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الربّ ❊ فإنَّ صلاة الإيمان تخلّص المريض والربُّ يُنهضهُ. وإن كان قد ارتكب خطايا تُغفَر لهُ ❊ اعترفوا بعضكم لبعض بالزّلات وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تبرأُوا. إنَّ طلبة البارّ تقتدر كثيراً في فعلها ❊ كانَ إيليّا إنساناً قابل الآلام مثلنا وقد صلّى أن لا ينزل المطر فلم ينزل على الأرض مدّة ثلاث سنين وستّة أشهر ❊ ثمَّ عادَ وصلّى فأمطرت السماءُ وأخرجت الأرض ثمرها ❊ أيّها الإخوة إن ضَلّ أحدٌ بينكم عن الحقّ فردّه أحدٌ ❊ فليعلم أنّ الذي ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه قد خَلَّصَ نفساً من الموت وستَرَ جَمّاً من الخَطايا

«يا إخوة اتّخذوا الأنبياء الذين تكلّموا باسم الرب قدوةً في إحتمال المشقّات وفي طول الأناة ❊ فانّا نطوّب الصابرين وقد سمعتم بصبر أيّوب ورأيتم عاقبة الربّ. لأنّ الربّ متحننٌ جداً ورؤوفٌ ❊» (يع٥: ١٠-١١)

بعد أن اتّخذ الرسول يعقوب في ما سبق مثال الفلاّح والأرض ليحثّ المسيحيّين على الصبر، يضع هنا أمام أعينهم مثال الأنبياء الذين قضوا حياتهم في المشقّات والأخطار. قال عنهم الرسول بولس: «الذين بالإيمان قهروا الممالك . . . معتازين مُذَلّين وهم لم يكن العالم مستحقّاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب١١: ٣٣-٣٨).

نحن اليوم نطوّبهم لأنّهم بالصبر غلبوا قوّة الشيطان. تمثّلوا يا اخوتي المسيحيين بهم.

وهنا يوحّد الرسول يعقوب بين الأنبياء والصدّيقين عن طريق صبرهم. يتكلّم على أيّوب الصدّيق وكأنه يمثّل عدداً من الصدّيقين الآخرين الذين تحلّوا بفضيلة الصبر فانتصروا على مكائد الشيطان وتكلّلوا. لأنّ اللّه قد أعطى في النهاية لأيوب سنين طويلة وأعادَ له ممتلكاته وأعلنه غالباً بقوله: «لم يظهر أحد مثلك صدّيقاً» أو بتعبير آخر «أتعتقد أنني جعلتك تجرَّب بدون أن يظهر في النهاية برّك؟» (أيوب ٤٠: ٨).

وكأنه يقول: لقد جعلتك تُجَرَّب لكي تظهر للعالم صدّيقاً وباراً وتكرز بفضيلة الصبر للمسكونة كلّها. لذا سمحتُ بمثل هذه التجارب.

كذلك أنتم بصبركم على التجارب سوف يكلّلكم المسيح لأن الربّ لا يترك الذين يحبّونه كما يقول النبي صفنيا: «لذلك انتظروني (اصبروا) يقول الربّ إلى يوم قيامتي للشهادة» (صفنيا ٣: ٨). يقول حبقوق أيضاً للصدّيق: «إن أبطأتْ (أي تأخّرت عناية الربّ بك) فانتظرها لأنها ستأتي ... ولا تتأخر» (حبقوق ٢: ٣). ويقول أشعيا: «أمّا الراجون للربّ فيتجدّدون قوّة. يرتفعون بأجنحة كالنسور. يعدون ولا يعيون يسيرون ولا يتعبون» (أش ٤٠: ٣١).

فليقتَنِ كلّ واحد منكم فضيلة الصبر ليحظى بمَعونة الربّ كما يقول داود: «صبراً صبرتُ للربّ فأصغى إلَيَّ واستمع إلى تضرّعي وأصعدني من وهدة الشقاء ومن طين الحمأة» (مز٣٩: ١-٢). أي من الخطيئة والتجارب.

« وقبل كلّ شيء يا إخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر. ولكن ليَكُنْ كلامكم نَعَم نعَم ولا لا لئلا تقعوا في الدينونة» (يع٥:١٢).

لقد حرّر القديس يعقوب المسيحيّين في الآيات السابقة من شرور كثيرة. الآن يجتهد في تحريرهم من خطيئة الحلفان. يقول بولس الرسول: «فإنّ الناس يقسمون بالأعظم ونهاية كلّ مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هي القَسَم» (عب٦:١٦).

يقول الشارح **ثيوفيلكتوس مع إيكومانيوس**: يحذّر هنا يعقوب المسيحيين من الحلفان بعناصر الخليقة السماء والأرض وغيرها من المخلوقات وكأنّهم يرفعون من شأنها إلى مستوى اللّه وقدرته. ممّا لا يليق بالخالق.

يوافق الربّ كلام القدّيس يعقوب بقوله: «سمعتم أنّه قيل للقدماء لا تحنث بل اوفِ للربّ أقسامَك» (متى ٥:٣٣، راجع أيضاً خر٢٠:٧).

﴿سمح العهد القديم بالحلفان حسب رأي ثيوفلكتوس وإيكومانيوس لكي يمنع اليهود الضعفاء من تقديم القَسَم للأوثان. فسمح لهم بالحلفان للإله الواحد كما سمح لهم بالذبائح للإله الحقيقي ليفصلهم عن ذبائح الأوثان. أمّا في العهد الجديد عندما دخلوا في العبادة الحقيقية منعهم من الحلفان كما من الذبائح الدموية.

يلاحظ أن النبي هوشع كان يمنع القَسَم بقوله: «لا تحلفوا بالإله الحيّ» (هو٤:١٥). الذي يحلف يخطىء والذي يحثّ على الحلفان يخطىء هو أيضاً. هذا من قول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي. وكذلك القديس يوحنا الذهبي الفم يمنع إلزام الآخرين بالحلفان﴾.

«وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتّة. لا بالسماء لأنّها كرسيّ اللّه ولا بالأرض لأنّها موطىء قدميه. ولا بأورشليم لأنّها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لأنّك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير» (متى٥:٣٣-٣٧).

يوصي العهد القديم بألاّ يُقسَم باللّه باطلاً لأنّه حسب القديس غريغوريوس اللاهوتي تعدّي القسم إنكارٌ للّه. أمّا العهد الجديد فيقول ألاّ نحلف البتّة وهكذا نتجنّب كلّ كذب على اللّه وأحكامه. القَسَم الكاذب يعادل إنكار وجود اللّه ووصاياه. هذا ما يشكّل خطيئة كبيرة. لذلك يُضيف القدّيس يعقوب: «لئلا تقعوا تحت دينونة».

يقول ثيوفيلكتس يقصد هنا خطيئة الكذب والفرّيسيّة. لأنّ الظاهر يوحي بالنعم أمّا الداخل يمكن أن يكون لا.

﴿يفسّر القدّيس غريغوريوس بالاماس الآية هكذا: ليكن الكلام موافقاً للفعل. إن كان الشيء كاذباً فليكن الكلام عنه كلا. أمّا ان كان الشيء نعم أي حقيقي ويقال عنه لا فيحصل كاذباً. أمّا إن كان الشيء، لا أي كاذباً والكلام عنه نعم فنقع في الفرّيسية والمراءات: كيف نقول نعم والأمر غير حقيقي؟﴾.

نُضيف أن الرسول يعقوب يمنع هنا القَسَم باسم اللّه.

« هل فيكم أحدٌ في مشقّات فليُصَلِّ أو في سرورٍ فليُرتّل» (يع٥: ١٣).

هنا نجد تعزيةً يقدّمها الرسول يعقوب الإلهي إلى المسيحيين الواقعين في حزن أو شدّة، أكان في الجسد أم في النفس. يمكن للانسان أن يطرد عنه هذه الأحزان أو التجارب عن طريق الصلاة الحارة «ذكرتُ اللّه ففرحتُ» (مز٧٦:٤).

وحتى لا يقول الواحد اني لستُ بحاجة للصلاة عندما أكون مرتاحاً فرحاً يضيف «أمسرورٌ أحدٌ فليرتل» وكأنّه يقول للمسيحي عندما تشعر بنفسك مسروراً لا تبتعد عن محبّة اللّه وإلفَته بل رَتِّل تراتيل روحيّة قائلاً مع داود: « أبارك الربّ في كلّ حين. تسبحته بفمي في كلّ آن» (مز٣٣:١). بذلك تشكر الربّ على النعمة التي أنت فيها وتساهم عن طريق التراتيل في جعلها تستمرّ فيك.

﴿يقول القديس باسيليوس الكبير مَن كان له نفسٌ فَرِحة يتعزّى بموهبة التراتيل﴾.

لا تسلّم نفسك إلى الترانيم العالميّة والشيطانيّة حتّى لا تبتعد عن اللّه وتصير عديم الشكران له فتخسر فرح الربّ.

«هل فيكم مريضٌ فليدعُ قسوس الكنيسة وليصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الربّ» (يع٥: ١٤).

إن كان أحدٌ مريضاً ولا يستطيع أن يصلّي أو يرتّل بصورة طبيعيّة فلا يتخلّى عن العون الإلهي بل يسعى لإيجاد وسطاء يتوسّلون إلى اللّه من أجله: هم «**شيوخ الكنيسة**» أي الكهنة والأساقفة كما يتضح من خلال قول بولس الرسول: «لا تهمل

الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوّة مع وضع أيدي المشيخة» (١تيمو٤:١٤)، وحسب متروفانس الشريف الكهنة ورؤساء الكهنة يُتمّمون سرّ الزيت المقدّس. يقول هنا القدّيس يعقوب إنه على الكهنة ورؤساء الكهنة أن يدهنوا المريض بزيت باسم الرب كما جاء أيضاً عند مرقس: «ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مر٦:١٣) من هنا أخذت الكنيسة تتمّ سرّ الزيت المقدّس على المرضى.

﴿يوصي القديس سمعان التسالونيكي بأن يُتمّ سرّ الزيت المقدّس سبعة كهنة أو على الأقل ثلاثة. يُسمح في حالات إستثنائية أن يكون هناك كاهن واحد﴾.

« فإنَّ صلاة الإيمان تخلّص المريض والربُّ يُنهضهُ. وإن كان قد ارتكب خطايا تُغفَر لهُ» (يع٥:١٥).

﴿سرّ الزيت المقدس كان في الأصل يتمّ على المرضَى بالجسد ولذلك يضيف هنا **القدّيس يعقوب** بأنّ الخطايا تُغفر وهي أمراض النفس. من هنا أخذت الكنيسة تُقيم هذا السرّ حتى على الأصحاء جسدياً، لكي تُشفَى أمراض النفس وتُغفر خطاياهم﴾.

حسب الشريف ميتروفانس، عندما يجتمع الكهنة ورؤساء الكهنة ويتمّون سرّ الزيت المقدس، نرى كثيراً من المرضى يتحسّنون في صحتهم حتى الشفاء التام. أولاً بسبب استدعاء اسم الرب المبارك وبنعمة المسيح الإلهيّة الكليّة القدرة. ثانياً عن طريق دهن المريض بالزيت المقدّس. ثالثاً عن طريق الصلاة الحارّة.

مما يدعونا في الوقت عينه إلى تصديق قول الرسول يعقوب بأنّ خطايا المريض تُغفر عن طريق صلاة الكهنة ورؤساء الكهنة. الشفاء الجسدي يلحق الشفاء النفسي أو بالأحرى يُعتبر تعبيراً لشفاء النفس. في كثير من الأحيان الأمراض الجسديّة تنتج عن الخطايا المرتكبة كما ورد لدى يوحنا: «ها أنت قد برئتَ. فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشرّ» (يو٥:١٤). من هنا فإن غفران الخطايا يؤدّي إلى شفاء أمراض الجسد. إن اللّه بحكمته الإلهيّة يعرف أن يُعطي الشفاء لمن يشاء ومن أجل منفعته.

«اعترفوا بعضكم لبعض بالزّلات وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تبرأُوا. إنَّ طلبة البارّ تقتدر كثيراً في فعلها» (يع٥ :١٦).

﴿ لا يقصد هنا الإعتراف للعلمانيين بل لأناس روحيين في الكنيسة لديهم سلطان الحلّ والربط مُعطى من رئيس الكهنة. أناس لديهم الموهبة. يقول القديس باسيليوس هذا مضيفاً أنّ الأطباء ليس بقدرتهم كلّهم أن يطبّبوا ويشفوا أمراض الجسد، لقد أُعطيت هذه الموهبة لذوي الخبرة. يقول القديس متروفانس إنّ الآباء الروحيين هم أخبر من غيرهم من الكهنة وأكثر كمالاً في عيش الفضيلة. والجدير بالذكر أنّ كلام القدّيس يعقوب يأتي في أوائل نشأة الكنيسة حين لم تكن بعد القوانين قد حُدِّدت في ما يختصّ بسرّ التوبة والاعتراف.

هذا لا يعني أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعترف بذنبه أمام الشعب كما فعل أيّوب قائلاً: «هل كتمتُ معصيتي كما يفعل الناس اضماراً للإثم في صدري» (أيوب٣١:٣٣).

المهم أن نتوسّل إلى الربّ طبيب النفوس والأجساد لكي يشفي جراحات الخطيئة. الاعتراف لم يمارسه فقط الساقطون في الخطايا الكبيرة بل أيضاً الناس كلّهم. نقرأ في الإنجيل ما يلي عن يوحنا السابق: «حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم» (متى٣:٥-٦) (أيوب٣٣:٢٣-٢٦).

التوبة الحقيقية عودة إلى الأحضان الأبويّة

كلّ ذلك يُظهر كم من الإفادة تصير عن طريق الاعتراف بالخطايا والسبيل في الحصول على الغفران. هذا ما يتمّ أولاً على يد العلماء وخصوصاً على يد الآباء الروحيين الحاصلين على نعمة التمييز والفضيلة والممارسين إرشاداً يكون بمثابة مرهم ومُلَيِّن طبّي.

«سيؤدّبني الصدّيق برحمة ويوبّخني أمّا زيت الخاطىء فلا يُدهن به رأسي» (مز١٤٠:٥). والجدير بالذكر أيضاً أنّ كلام القدّيس يعقوب يدلّ على هشاشة إدّعاء البعض أن الإعتراف يكون فقط أمام اللّه استناداً لما جاء في المزمور: «قلتُ اني اعترف بذنبي وأنتَ صفحتَ عن خباثة قلبي» (مز٣١:٥).

«إنَّ طلبة البارّ تقتدر كثيراً في فعلها» (يع٥:١٦ب).

يقصد القدّيس يعقوب بكلامه أنّ طلبات الآباء الروحيين المعرِّفين المرشدين تساعد كثيراً المسيحيين المعتَرفين في سبيل غفران الخطايا. خصوصاً أولئك التائبين عن خطاياهم والمعتَرفين بها متخطّين الخجل وفاضحين الشيطان. هناك إذاً مشاركة وتعاضد Synergie بين **المعترف التائب والمُعَرِّف المتوسّل** إلى **اللّه** من أجل غفران خطاياه.

﴿يقول القديس مكسيموس المعترف: تسري هذه القاعدة أيضاً على كلّ مَن يُصلّي بحرارة من أجل الآخر خصوصاً إذا كان المصلّي باراً، أمّا ثيوفيلكتوس وإيكومانيوس فيشرحان هكذا: تقتدر طلبة البّار عندما يشارك الطالب في عمل التوبة كما يقول سيراخ: «ليست مرضاة العليّ بتقادم المنافقين ولا بكثرة ذبائحهم يغفر خطاياهم» (سيراخ٣٤:٢٣). «كذلك الإنسان الذي يصوم عن خطاياه ثمّ يعود يفعلها مَن يستجيب لصلاته وماذا نفعه اتّضاعه» (سيراخ٣٤:٣١) (١ملوك١٦:١). يقول القدّيس برصنوفيوس: على الخاطىء أن يتوب ولو قليلاً لكي تفعل طلبة البّار من أجله. ويضيف القديس يوحنا السلّمي إن كان الخاطىء لا يُساهم في التوبة علينا أن نواصل الطلبة من أجله حتى يحرّك اللّه ويوقظ فيه عمل التوبة والخير كلامه للراعي﴾ إذاً بدون توبة الخاطىء ولو

قليلاً لا تفعل صلاة البّار. هذا كشفه اللّه لحزقيال (حز١٤:١٣-١٤و١٨) وإلى (ارميا ٧:١٦) راجع أيضاً (١يو٥:١٦).

« كان إيليّا إنساناً قابل الآلام مثلنا وقد صلّى أن لا ينزل المطر فلم ينزل على الأرض مدّة ثلاث سنين وستّة أشهر ❊ ثمَّ عادَ وصلّى فأمطرت السماءُ وأخرجت الأرض ثمرها» (يع٥:١٧-١٨).

يتّخذ القدّيس يعقوب مثالاً إيليّا لكي يؤكّد على كلامه السابق: «طلبة البّار تقتدر كثيراً في فعلها». يقول الكتاب المقدّس صلّى إيليّا هكذا إلى اللّه: «حيّ الربّ إله إسرائيل الذي أنا واقف أمامه أنه لا يكون في هذه السنين ندىً ولا مطر إلاَّ عند قولي» (٣مل١٧:١). ويا للعجب صار القول عنده فعلاً لأنّ السماء لم تمطر «ثلاث سنين وستة أشهر». بعد مضيّ السنين هذه وبعد أن عانى أهل السامرة من الجوع والعطش ومات كهنة البعل الوثنيّون، تاب السكّان عن شرورهم فصعد إيليّا إلى جبل الكرمل حيث صلّى من جديد. فانفتحت السماء وأمطرت وأنبتت أثمارها.

«وصعد إيليّا إلى رأس الكرمل وخَـرَّ إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه وقال لغلامه ... إصعَد وقُل لآخاب شد وانزل لئلاّ يمنعك المطر. فبينما كان من هنا إلى هنا إذ اربدّت السماء بالسّحب وهبّت الرّياح وجاء مطرٌ عظيم» (٣مل١٨:٤٢،٤٥:٤٤).

﴿ لماذا خَـرَّ إيليّا إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه؟ يجيب القدّيس غريغوريوس پالاماس بقوله: يحاول النبي بهذه الوضعيّة أن يعيد فكره (النوس) إلى داخل قلبه وهناك يصلّي في ذهنه بصورة متواصلة وبألم فيستجيب اللّه أصوات قلبه الذهنيّة الداخليّة أكثر من الأصوات الحسيّة الخارجة من فمه. (مقاله للهادئين Filocalia page 960).

لماذا إذاً سُمِعَت طلبته وأمطرت السماء ؟ لأنّ أهل السامرة قد ساهموا بتوبتهم. فلنتمثّل نحن المسيحيين بكلّ هذا ونتوسّل إلى اللّه في صلواتنا من أجل مساعدة اخوتنا وبمساهمة توبتهم.

« أيّها الإخوة إن ضَلّ أحدٌ بينكم عن الحقّ فردّه أحدٌ ❊ فليعلم أنّ الذي ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه قد خَلَّصَ نفساً من الموت وستَرَ جَمّاً من الخطايا» (يع٥:١٩-٢٠).

يشرح القدّيس ميتروفانس هكذا: لا ينبغي أن ننتقد النبي إيليّا على صلاته من أجل إغلاق السماء، لأن بهذه الطريقة عاد الناس إلى اللّه بالتوبة تشبّهاً بما سمح به اللّه في زمن الطوفان وفي زمن إحراق مدينة صادوم بالنار.

الإرشاد والنصائح اللطيفة وكذلك التوبيخات القاسية في بعض الأحيان يمكن أن تساهم في عودة الخاطىء. بهذه الطريقة تساهم أنت أيضاً في خلاص نفس أخيكَ من الهلاك وفي ستر خطاياه.

أما ثيوفيلكتوس وإيكومانيوس فيقولان: سبق اللّه وقال، على مثال القدّيس يعقوب ، إلى ارميا: «إن رجعتَ رَجعتُ بكَ فتقف بين يدي ،ان أخرجتَ النفيس من الخسيس كنتَ كفمي وهم يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم» (أي لا تفعل خطاياهم) (ارميا١٥:١٩).

لذلك يقول أحد الآباء إن سمعتَ أنّ أحد المعلّمين قد أفاد المسيحيين بتعليمه بينما ظلّ هو نفسه متهاملاً في عمل الفضيلة لا تدنه بقسوة لأنّ تعليمه الصالح يعوّض عن ضعف أعماله.

﴿راجع القديس يوحنا السلّمي حول التمييز المقال ٢٦ ، يضيف القدّيس يوحنا أنّ الذي سقط في الخطيئة يمكن له في توبته أن يعلّم الآخرين متذكّراً خطاياه السّالفة. لأنّ هذا يفيد الآخرين ويفيد نفسه إذ يزيد في توبته. هذا ما يشبه قول القدّيس يعقوب: إنّه يساهم في تخليص نفسه من الموت ويستر كثرةً من خطاياه.

يواصل القدّيس يوحنا كلامه: أمّا الذين يرتمون في الملذّات والأهواء بإرادتهم فلا يستطيعون أن يعلّموا ولا أن يُرشِدوا الآخرين. عليهم بالأحرى أن يصمتوا.

راجع أيضاً المزمور التالي: «لكن اللّه قال للخاطىء لماذا تجاهر بفروضي وتأخذ عهودي على فمك؟: مع أنّك أبغضتَ التأديب ونبذت كلامي وراءك» (مز٤٩:١٦-١٧). والربّ يقول: «ومن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعَى أصغر في ملكوت السموات» (متى٥:١٩) أي أُخرِجَ من الملكوت ﴾

علينا إذاً نحن أن نعيش أوّلاً حياة الفضيلة ثمّ أن نُعَلِّم الآخرين ونُرشدهم حتّى بخلاص اخوتنا ننال نحن أيضاً غفران خطايانا بموجب قول الربّ: «إن سمع منك ربحتَ أخوك» (متى١٨:١٥) بشفاعات القدّيس يعقوب أخي الربّ أسقف أورشليم وبنعمة ربّنا يسوع المسيح الذي يليق له المجد مع الآب والروح القدس. آمين.

الشمّاسة فيبي

فيبي: إسم يوناني معناه «بهيّة» أو «نقيّة» أو «لامعة». وكانت خادمة في الكنيسة التي في كنخريا، الميناء الشرقي لكورنثوس. وقد أوصَى بها الرسول بولس في رسالته إلى الكنيسة في رومية، إلى المؤمنين في رومية أن يقبلوها ويقوموا لها في أي شيء احتاجته منهم (رو١٦:١-٢). والأرجح أنها هي التي حملت هذه الرسالة معها إلى الكنيسة في رومية.

ويقول عنها الرسول بولس: ١) «أختنا فيبي». ٢) «خادمة الكنيسة». ٣) «مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً». وكلمة «خادمة» هي مؤنّث الكلمة اليونانية «ذياكون» المترجمة «شماساً» (في١:١، ١تيمو ٣:٨و١٢). ولا شكّ في أنّ «فيبي» قد خدمت الرسول بولس في أثناء زيارته لكورنثوس، وهكذا ساعدته وكثيرين معه في الخدمة، مما يظن معه أنها كانت ذات ثراء، فأعانت مَن كانوا في إحتياج. ولعلّ الكنيسة في كنخريا كانت تجتمع في بيتها.

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الفصل الثالث عشر: لا شيء يسبّب ضرراً وعثرة لمن هم يقظون.

لا شيء يسبّب ضرراً وعثرة لمن هم يقظون.

١ ـ أخبرني: هل كان لإبراهيم كاهن ومصلحون ومعلمون وأناس ينصحونه ؟ لم يكن له في ذلك الوقت كتاب مكتوب ولا ناموس ولا أنبياء ولا شيء من هذا القبيل، بل كان يبحر في بحر غير صالح للملاحة ويسير في طريق وعر. فأبوه وأقاربه كانوا عبدة أصنام، ومع هذا فإن الظروف جميعها لم تؤذيه بل زيّنت فضيلته.

٢ ـ لذلك بعد زمن طويل ـ بعد مجيء الأنبياء والناموس وتعليم السيّد المسيح الرائع بالأعمال والمعجزات ـ ظهرت فضائله التي سبق فتزيّن بها من محبّة حارّة عملية واحتقار للغنى وحنانه الأبوي تجاه أهله (لوط وأسرته). لقد سحق الترف تحت قدميه وترك حياة المتعة الفانية وعاش في تقشّف يفوق نُسك رهبان عصرنا الذين بلغوا قمم الجبال (ليعيشوا فيها).

٣ ـ لأنه لم يكن له منزل، إنما كانت ظلال أوراق الشجر سقفاً لهذا البار ومأوى له. وإذ كان غريباً امتلأ غيرة نحو إضافة الغرباء. اهتم هذا الغريب في البلاد الغريبة باستضافة القادمين إليه ظُهراً وبخدمتهم، ولم يَقُم بخدمتهم وحده بل أشرَكَ معه امرأته في هذا العمل الصالح.

٤ ـ ألَم يُسد صنيعاً إلى ابن أخيه مع أن لوط لم يكن قد تصرّف معه حسَناً بل أساء إليه وهذا بعد أن كانت له (بصفته الأكبر عمراً ومركزاً) إمكانية اختيار الأرض الفُضلَى (انظر تك ١٣:١٧)؟ ألَم يعرّض حياته لخطَر محقّق من أجله ؟

وعندما أمرَه الربّ أن يترك البيت (الأبوي) ليذهب إلى أرض غريبة أطاع في الحال وترك وطنه وأصدقائه وكل أهل بيته، مرتبطاً بما لا يعرفه في يقينٍ عظيم من أجل مواعيد اللّه.

٥ ـ ثمّ حدثت مجاعة فتغرّب ثانية بغير انفعال أو اضطراب، مُظهراً نفس الطاعة ونفس القوّة ضد الألم ونفس الصبر. ثمّ رحَلَ إلى مصرَ، ومع أنه كان مطيعاً للّه الذي وضع عليه مثل هذه التجارب، فقد أُخذَت منه امرأته، ورآها أُهينت بسبب مجيئه إلى مصرَ، وتحمَّل آلاماً (نفسيّة) أسوأ من الموت، إذ ضُربَ في أعزّ ما لديه (وهو شرف امرأته المحبوبة): قل لي أي شرٍّ أكثَر إيلاماً ـ بعد أعمال فاضلة كثيرة ـ أن يرى المرأة التي قد ارتبطت به بناموس الزواج قد سُلِبَت بقسوة إنسانٍ بربري، واقتيدت بمهانة إلى قصر الملك؟

٦ ـ ولو أنّ هذا الأمر لم يتحقّق (أي لم يمس فرعون وزوجته) لكنه على الأقل اصطبر له واحتمل بكل نُبل. فلا البلايا جعلته يتعثر ولا الغنى جعله ينتفخ، بل في مختلف الظروف احتفظ بنفس سَويّة، وعندما تمّ وعده بابن، ألم تكن هناك ألف عقبة يقترحها العقل ؟ فإذ قد أذعن لكل ما يقوله اللّه، وإذ قد أسكَتَ كلّ اضطراب يحدث (في ذهنه)، فإن إيمانه تلألأ.

٧ ـ لكن عندما تلقّى أمراً من اللّه بذبح ابنه، ألم يأخذه سريعاً كمن يقوده إلى عشّ الزوجيّة، كمن يسلم العروس إلى عريسها ؟ متخطياً حدود الطبيعة ومتحرّراً من الطبيعة البشرية، فقدّم ذبيحة جديدة وعجيبة، مجاهداً بمفرده بغير معونة من زوجته أو خادم له، أو أحد أتباعه.

٨ ـ في الواقع إن إبراهيم كان يعلم جيداً خطورة الأمر وعظم العقبة وشدّة القتال. لهذا السبب واجه النضال وحده، وركض وحارب واشتهر اسمه.

أي كاهن علّمه هذا ؟ أو أي معلّم أو نبي ؟ لا أحد، لكن لأنه كانت له نفس مهيّأة حَسَناً فقد أتاحت له أن يواجه هذا كله (برباطة جأش).

٩ ـ هل وجَدَ نوح كاهناً أو معلماً أو مرشداً؟ هذا الذي انفرد وحده سائراً في طريق مناقض للأرض كلها التي فسدت بالشرّ، صانعاً الفضيلة فخلّص نفسه ومعه آخرين من الغرق الذي كان يهدّدهم ؟! بأي طريق صار هو باراً؟ بأي طريق أدرَكَ الكمال؟ أي كاهن وأي معلم كان له؟ لا أحد يستطيع أن يقول أنه كان له كاهن أو معلّم.

١٠ ـ وبالرغم من أن حاماً ابنه كانت فضيلة أبيه العملية هي معلمه الدائم، وكان يمكنه إذ رأى الحوادث بعينيه أن يستخلص دروساً من كارثة الطوفان ونهاية الشرّ، لكنه كان شريراً تجاه والده فاستهزأ بعُريه وعرّضه للاستهزاء العام. انظر كيف يلزم أن تكون للإنسان في كَلَ الظروف نفس مهيأة حسناً؟

١١ ـ قل لي وماذا عن أيوب؟ أي أنبياء أمكنه أن يسمع لهم؟ أو أي تعاليم إستطاع أن ينتفع بها؟ لا يوجد.

ومع أنه لم يجد عوناً من هذا القبيل، إلا أنه أعطَى مثالاً لفضيلة تامة وضرورية جداً، لأنه ـ ولو كان يملك خيرات (وفيرة) ـ فهذه كانت ليتشارك بها مع من كانوا في احتياج. وليس فقط ماله، بل وبذل صحته ذاتها.

١٢ ـ فهو في الواقع استقبل الغرباء في بيته، وكان منزله يخصّهم أكثر مما يخصه. وقد حمى ـ بقواه الطبيعيّة ـ الذين تم ظلمهم. وبكلامه الرقيق وفطنته سَدَّ أفواه السفهاء وكان كملاك في كل تصرفاته.

١٣ ـ تأمّل، إن السيّد المسيح يقول: «طوبى للمساكين بالروح (مت٥:٣)، وأيوب نفسه حقّقها عملياً فقال: «إن كنتُ رفضتُ حقّ عبدي وأَمَتي في دعواهما عليَّ، فماذا كنتُ أصنع حين يخضعني اللّه للفحص؟ أَوَ أليسَ صانعي في البطن صانعه، وقد صوّرنا واحدٌ في الرحم» (أي٣١:١٣-١٥). والسيّد المسيح يقول أيضاً: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت٥:٥). من بلغ وداعة ذاك الذي قال عنه عبيده بسبب حبهم له «مَن يأتي بأحد لم يشبع من طعامه» (أي٣١:٣١).

١٤ ـ «طوبى للباكين لأنهم يتعزون» (مت٥:٤)، وقد أختبر أيوب هذه التعزية الداخلية. أنصت ماذا يقول: «إن كنتُ قد أخطأتُ سهواً واختبأتُ عن جموع الناس لكي لا أعلن إثمي ..» (أي ٣١ : ٣٣-٣٤)، وإنسان له مثل هذه الدوافع، من الواضح أنه بكى بغزارة على خطئه.

١٥ ـ «طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ» (مت٥:٦).

انظر بأي كمال حقّق هذا: «هشّمت أضراس الظالم ومن بين أسنانه خطفت الفريسة» (أي٢٩:١٧)، «لبستُ البرّ فكساني كحبّة، وعمامة كان عدلي» (أي٢٩:١٤).

«طوبى للرحماء فإنهم يرحمون» (مت٥:٧)، وهو لم يكن فقط رحوماً بفضل ثروته في كسائه لمن كانوا عرايا، وإطعامه لمن كانوا جياعاً، وإقامته حقّ الأرملة وإحاطته لليتيم بكل اهتمام وتلطيفه لكل عاهات الطبيعة بكلماته الصالحة، بل لرقة نفسه تجاه الألم.

١٦ ـ قال أيوب: «أما أنا فقد بكيت مع كل ضعيف وتأوّهتُ عند رؤيتي إنساناً في احتياج» (أي٣٠:٢٥). كما لو كان أباً للكل. أمام بلايا كل واحد منهم " فإنه كان يوزّع (خيرات) للبعض، ويبكي على البعض، ويخفف عن من كانوا في الضيق، سواء بكلماته أو بأعماله أو بعطفه .. إنه كان ميناء متاحاً للجميع " .

١٧ ـ «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون اللّه» (مت٥:٨)، وهذا قد تحقق له بطريقة فائقة، واسمع اللّه وهو يشهد له بقوله: «ليس مثله في الأرض رجلٌ كامل ومستقيم يتقي اللّه ويحيد عن الشرّ» (أي٢:٣).

١٨ ـ «طوبى للمطرودين من أجل البرّ، لأن لهم ملكوت السموات» (مت٥:١٠)، وهذه كانت أيضاً مصدراً فائضاً للحروب والمكافآت، لأن الذي كان يطارده ليس البشر بل الشيطان. رئيس الأشرار كان يهاجمه إذ قد نفّذَ فيه كل مكائده وانقَضَّ عليه وطرده من بيته ووطنه، ودفعه ليجلس على الرماد ونزع منه كل غناه ومقتنياته وأولاده، بل وصحته وسلّمه إلى جوع شديد جداً. بعد هذا فإن الشيطان هيَّج عليه بعض أصدقائه الذين اندفعوا عليه عمداً وفتحوا جروح نفسه من جديد.

١٩ ـ «طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيمٌ في السموات» (مت٥:١١-١٢). في الواقع إن أيوب تلذذ جداً بهذه الطوبى، إذ أن الذين أحاطوا به آنذاك افتروا عليه بقولهم أن عقوبته كانت أقل مما تستوجبها أخطاؤه، وابتلوه باستجوابٍ مُطَوَّلٍ وأحاديث مليئة بالأكاذيب وتهم ملفقة.

٢٠ ـ لكن عندما أوشَكَ أصدقاؤه على الهلاك، فإنه خلّصهم من الغضب الإلهي دون أن يحفظ لهم أي ضغينة من كل ما قالوه ضده. وهكذا أتمّ وصية «أحبوا أعدائكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت٥:٤٤). وهو في الواقع قد أحبهم وصلى لأجلهم حَوَّلَ عنهم الغضب الإلهي ومحا خطيتهم، مع أنه لم يسمع نبياً ولا إنجيلياً ولا كاهناً ولا معلماً ولا أوصاه أحد بالفضيلة.

٢١ ـ هل ترى كيف أن زوجته نبيلةٌ، كيف اعتمدت على نفسها في ممارسة الفضيلة، حتى وإن لم تجد مَن يحيطها بالعطف، ولم يكن أحد من أسلافه صالحين، بل كانوا راسخين في شر عظيم، إذ يقول بولس الرسول عن جده عيسو «فلم يكن أحداً مستبيحاً كعيسو الذي باع بكوريته بأكلة عدس» (عب١٢:١٦).

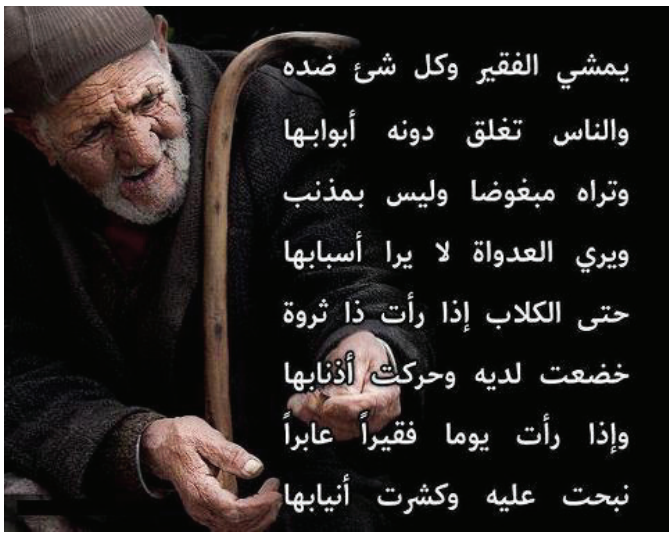

ويلات الحروب
للشاعر : نقولا حداد

فـما بالُ أديـانِ العِبـادِ تعـدّدت
وَفَرَّقَهُمْ بالبطل مختلفُ الكُتُبِ ؟
أماتَ ملاكُ الحبّ إبليسُ حقدهم
يدفعُهم من ويلِ حربٍ إلى حربِ

الدين : عند الشاعر النصراني عدي بن زيد العبادي

نُرَقِّعُ دُنيانا بمتزيقِ ديننا
فلا دينُنَا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

«الصلاة في مزامير داود النبي»

كما شرحها القديس يوحنا الذهبي الفم

(الجزء الثاني)
من هذا البحث الآبائي

مشاركة الجسد للنفس في الصلاة

بالإضافة إلى الحياة الصالحة فإن القديس يوحنا الذهبي الفم يدعو المصلّي إلى مشاركة الجسد في الصلاة، كما يذكر ذلك (المزمور ١٤٠:٢) يقول: «فلتستقم صلاتي كالبخور قدامك وارتفاع يديَّ ذبيحة مسائيَّة» ويتساءل الذهبي الفم «ما هي أهمية رَفْع اليدين في الصلاة كذبيحة مسائيّة».

ويجيب بأن اليدين هما الأداة التي يستخدمها الأشرار في عدد كبير من الجرائم: **اللكم ، والقتل والسرقة**. فإذا ما ارتفعتا في الصلاة فهما لن تعودا قادرتين على ارتكاب الإثم وهما تصلّيان. ويقول: إنها ليست جريمة أن يُصلّي الإنسان بيدين غير مغتسلتين (كما كان في العهد القديم)، لكن إذا ارتفعتا أمام اللّه وهما ملوّثتان بآلاف الشرور فإن هذا يستثير غضب اللّه. لابد أن الإنسان يُطهّرهما بالصدقة ، ومحبة البَشر، وبمساعدة مَن هم في حاجة.

وبحسب الذهبي الفم، فإن المرتِّل يحثنا على أن نُطَبِّق نفس المبدأ على أفواهنا، حينما يقول: «إجعل يا ربّ حافظاً لفمي وباباً حصيناً على شَفَتَيَّ» (مز ١٤٠:٣). ويستدعي الذهبي الفم كلمات الرسول بولس كنموذج: «لا تخرج كلمة رديّة من أفواهكم» (أف٤:٢٩)، ويذكرنا الرب يسوع: «إن كل كلمة بطّالة يتكلّم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدّين» (مت١٢:٣٦). ويخرج من هذين القولين بأننا يجب أن لا ندع الفكر السيء يتحوّل إلى كلمات، فإن أدّى فكر الحسد إلى الغضب، فلنحفظ أفواهنا مغلقة. ويقدِّم الذهبي الفم هذه الوصفة للتحكّم في أحاديثنا: فإن كنتَ قد كوّنتَ لنفسك عادة عدم التكلّم بالكلام البطّال غير ذي الفائدة، وإن كانت روحك مثل فمك تحوط نفسها دائماً بأحداث الكتاب المقدّس، فسيكون عندك «الحارس الأمين» على فمك.

ويشير الذهبي الفم إلى دور الصوت في الصلاة لا يجب أن ينفصل عن دور القلب والروح. ويقول: إنه ليس من الضروري أن يكون للإنسان صوت قوي جهوري، إن أراد أن يصلّي. فحينما يقول المرنّم: « يا ربّ إليك صرختُ فاستمعني» (مز١٤٠:١)، فإنه حسب الذهبي الفم ـ يقصد الصراخ الداخلي الباطني الذي يترك النفس مفعمة بالمحبة والقلب النادمان. وهو يحزن على الذين يكونون حاضرين في الهيكل ولكنهم لا يصرخون إلى اللّه. إنهم يُصلّون بشفاههم دون أرواحهم. إنهم لا يُعيرون انتباهاً لما يقولون. ثمّ يُقدِّم موسى والعشّار كأمثلة لمن يصلّي بحرارة. موسى حينما صلّى بغيرة، استجاب له اللّه. وحتى العشّار الخاطىء حينما صلّى بغيرة وانتباه، نال ما صلّى من أجله. أما الكسول الذي لا ينتبه لما يقول، فإنه لا يصرخ إلى اللّه، وحتى لو صرخ إلى اللّه فإنه عبثاً يرفع صوته.

داود النبي والملك

ويضيف الذهبي الفم، إن الشخص الذي لا يرفع عقله، فحتى ولو صنع صخباً، فإنه لا يكون قد صرخ إلى اللّه. لكن المرنِّم فَعَلَ هذه وتلك، إذ قال: « بصوتي الى الربّ صرخت بصوتي الى الربّ تضرَّعت» (مز١٤١:١). ويعلن الذهبي الفم، إننا نرى هنا نفساً قد تجرَّدت من كل اهتمامات الأرض. وليس فقط لغة أفواهنا، بل وأيضاً عيوننا وأيدينا وأقدامنا وآذاننا، فبحسب كلمات الذهبي الفم، فإننا نكون كمن يُغَنّي بالتسبيح للرب. وهذا يتم ـ كما يقول ـ حينما لا تتطلّع العينان إلى المحرّمات، وحينما لا تكون اليدان ممتدتان للسرقة بل لتقديم الصَدقة، وحينما تكون الأُذنان مستقبلَتَين فقط لترنيم المزامير وللتوجُّهات الروحية، وحينما تُسرع القدمان إلى بيت اللّه، وحينما لا يكون القلب خادماً للأحقاد والمؤامرات بل ممتلئاً بالمحبة. يقول الذهبي الفم، إن جسدنا يكون حينئذ قيثارة وعوداً يؤدِّي ترنيمة جديدة، ليس فقط بالكلمات بل وبالأعمال أيضاً.

وحينما يقول داود «من الأعماق صرختُ اليك» (مز١٢٩:١)، يقول الذهبي الفم ، فإنه يكون مصلّياً من أعماق القلب. مثل هذه الصلاة تكون ذات قوة كبيرة لأنّها لا يمكن أن تنتهي أو تتزعزع بسبب ضربات العدو. أما الصلاة التي هي من الفم والشفتين فقط، فهي لا تنبع من عمق القلب. ويُحذّرنا الذهبي الفم بأنها لا يمكن أن ترتفع إلى اللّه لأنها تكون قد ضعفت بسبب لا مبالاة المصلّي فإن أي شيء يمكن أن يشتتها، وأقل ضوضاء أو اضطراب يُحَوِّل المصلّي عن صلاته، لأن الفم وحده هو الذي يصلّي، أما القلب فخالٍ وعادم الفهم.

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم، إن القديسين لم يصلُّوا هكذا، وهو يقدّم أمثلة متعدّدة. فالنبي إيليا سَعَى إلى الإنفراد وصلّى بحرارة وانتباه. حَنَّة، أم صموئيل، صلَّت من عمق قلبها بأنهار من الدموع. وكلّ مَن يُصلّي هكذا فإنه يسكب السكون والهدوء على شهوات النفس، ويُلَيِّن الغضب، ويطرد الضغينة، ويطفىء الشهوة،ويُضعف محبة الأرضيات، ويبعث الهدوء بالقلب.

ماذا يجب وماذا لا يجب الصلاة لأجله ؟

والآن ينتقل للحديث عن مضمون الصلاة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم بأننا يجب أن نصلّي بالتوافق مع شرائع اللّه، وأن نصلّي باستمرار، وألاّ نسأل من اللّه الأمور الأرضيّة بل نطلب ما هو نافع بالحقّ لنا. وفي شرحه على مزمور ٧ يُقَدِّم نماذج قليلة يُصَوِّر بها هذه النقاط، ولكننا سنقدِّم نماذج وأمثلة من شرحه على المزامير الأخرى لنصل إلى فهمٍ أكثر.

توافق صلواتنا مع شرائع اللّه:

كيف يصلّي الإنسان بالتوافق مع شرائع اللّه ؟ لا يُقَدِّم القديس الذهبي الفم أمثلة على هذا النوع من الصلاة مباشرة، ولا هو يُحَدِّد ما هي شرائع اللّه التي يشير إليها. بل هو يناقش هذه النقطة بحديثه عن الصلاة التي هي ليست متوافقة مع هذه الشرائع، وفي كل هذه الأحوال هو يتكلّم عن الصلاة ضد الأعداء. وهذا موضوعٌ هامٌ لدى القديس يوحنا الذهبي الفم، ويعود إليه المرّة تلوَ المرّة في شروحاته على المزامير.

وحينما يتكلَّم الذهبي الفم عن الصلاة ضد الأعداء في شرحه على مزمور٧ ، فإن الوصية الإنجيلية تكون أمام ذهنه هكذا: «أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥:٤٤). وحينما يُناقش نفس الموضوع في مزمور ٤ فهو يعود إلى إنجيل لوقا: «صلّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم» (لو٦:٢٨). وفي نفس شروحات المزامير يتكلّم أيضاً عن قائد المئة كرنيليوس، المذكور عنه في سفر الأعمال: «وهو تقيٌ وخائف اللّه ... يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويُصلّي إلى اللّه في كل حين» (أع١٠:٢). هذا ظهرَ له ملاك اللّه وقال له: «صلواتُكَ وصَدقاتُكَ صعدت تذكاراً أمام اللّه» (أع١٠:٤). ويقول الذهبي الفم إن هذه الصلوات لم تكن مجرّد صلوات عادية، بل صلوات تتوافق مع شرائع اللّه، والتي كان هدفها ما يليق باللّه أن يعطيه، والتي لم يكن بها أية سؤالات تتعارض مع شرائعه، ويتساءل الذهبي الفم، من يجرؤ أن يسأل مثل هذه السؤالات المتعارضة مع شرائع اللّه إلاّ ذاك الذي يصلّي ضدّ أعدائه، لأن اللّه نفسه يقول لنا أن نصلي إليه قائلين: «إغفر لنا ما علينا» (مت٦:١٢).

يقول الذهبي الفم، ليتنا لا نطلب شيئاً يمنع الإستجابة، لأننا حينما نسأل ما هو ضد أعدائنا، فإن المعونة التي أنتَ تطلبها ليست عادلة، لأنها متعارضة مع شريعة اللّه المعطي. يجب أن يكون المتوسل حريصاً على ألاّ يتكلَّم بلغة الديّان، لأن الذي يُصلّي ضد أعدائه هو دَيّان أكثر من كونه متوسّلاً. ويتكلّم الذهبي الفم عن هذه الممارسة وهو يشرح المزمور ١٤٠، حيث يتساءل: كيف يمكن أن يستجيب اللّه صلاة متعارضة مع شرائعه.

ولكن بعض المزامير تبدو وكأنها تتضمن صلوات من هذا النوع، ويهتم القديس يوحنا الذهبي الفم بهذه المسألة في مناسبات عديدة. فمثلاً، يقول المزمور (٥:١٠) «وككثرة نفاقهم أقصهم» يقول الذهبي الفم إن المرنّم مهتمٌ ليس بنفسه، بل بالأذى الذي يسبّبه أعداءه ضدّ اللّه، ويشير في النصف الأخير من الآية إلى ثمار صلاته «وليفرح جميع المتكلين عليك». فهو يُصلّي أن يهتدي أولئك الذين يرتكبون هذا الأذى ويمتنعوا عن الشرّ.

وفي مزمور (٦:١٠) يقول داود «فليَخزَ ويضطرب جميع أعدائي وليعودوا ويخزوا جداً سريعاً». هذه ليست صلاة ضدهم، بل لهم ـ كما يقول الذهبي الفم ـ فكما يحاول واحدٌ أن يمنع شخصاً يسير نحو الهاوية، هكذا المرنِّم يريد أن أعداءه يكفّون عن خطاياهم.

وفي مزمور (٩:٣٥) يبدو النبي أكثر قسوة حينما يطلب: «أحطّم ذراع الخاطىء». لكن الذهبي الفم يقول إنه لا يريد تحطيم الخاطىء، بل إبادة قوّته وجبروته والشرور التي تفترسه. وفي نظر الذهبي الفم يتضح إشفاق النبي من هذه الكلمات: «الرب يبيد جميع الشفاه الغاشة اللسان المتكلم بالعظائم» (مز١١:٣). لأنه يصلي لكي يضع اللّه حداً لشرورهم أكثر مما لكي يُحَطّمهم في أشخاصهم.

وأخيراً يُقَدِّم الذهبي الفم الرُسل كأمثلة تُقتَدى في هذا المجال، لأنهم بالرغم من أنهم عانوا الاضطهاد، وأُلقوا في السجن وتَعَرَّضوا لخَطَر عظيم، إلاّ أنهم وجدوا نجاتهم في الصلاة. لكنهم لم يُصلّوا البَتّة لهلاك أم موت مضطهديهم؛ بل صلّوا لكي يوجَدوا مستحقين أن يتكلّموا بكلام اللّه بكل «مجاهرة». واسطفانوس أول الشهداء صلّى من أجل الذين كانوا يرجمونه.

ويُحَذِّر الذهبي الفم من أننا حينما نصلي يجب أن نُبعد مشاعر الغضب، ولا نتكلّم بأي كلام انتقام، بل ننقي نفوسنا من السمّ الذي يُسدها. فإذا فعلنا ذلك وَدَعَوْنا اللّه من أعماق قلوبنا، فإنّنا نتأكد من اللّه أن صلواتنا ستكون مسموعة حتى قبل أن تنتهي منها.

ثم هو يحرص أيضاً على أن الصلاة يجب أن لا يكون فيها أية مشاعر ضد الرحمة، بل تكون مُفعمة بالهدوء والحلاوة، وهكذا وفي تعليم القديس يوحنا الذهبي الفم، وحينما نقف أمام اللّه ليتنا نتكلّم حسناً عن أعدائنا. وهكذا فإن صلواتنا سوف تنعم بالإستجابة.

عيد التجلي الإلهي
كنا معاينين جماله

للقديس نيقوديموس الآثوسي
وآباء الكنيسة العظام

الرسالة

ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت باركي يا نفسي الرب

فصلٌ من رسالة القديس بطرس الرسول الثانية الجامعة (٢ بطرس١: ١٠-١٩)

يا إخوةُ اجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتَيْن. فإنَّكم أذا فعلتم ذلك لا تزلّون أبداً * وهكذا تُمنَحون بسخاء أن تدخلوا ملكوت ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبديَّ * لذلك لا اهمل تذكيركم دائماً بهذه الأمور وان كنتم عالمين بها وراسخين في الحقّ الحاضر * وأرى من الحقّ أني ما دمتُ في هذا المسكن أُنهضكم بالتذكير * فأني أعلم أنَّ خلع مسكني قريبٌ كما أعلنَ لي ربُّنا يسوع المسيح * وسأجتهد أن يكون لكم بعد خروجي تذكُّر هذه الأمور كلَّ حين * لأنّا لم نتبع خرافات مصنّعةً إذ أعلمناكم قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئَهُ بل كُنَّا معاينين جلالهُ * لأنهُ أخذَ من اللّه الآب الكرامة والمجد إذ جاءَهُ من المجد الفخيم صوتٌ يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت * وقد سمعنا نحنُ هذا الصوت آتياً من السماء حَينَ كُنَّا معه في الجبل المقدّس * وعندنا أَثبتُ من ذلك وهو كلام الأنبياء الذي تُحسنون إذا أَصغيتم إليه كأنَّهُ مصباحٌ يُضيءُ في مكانٍ مُظلم إلى أن ينفجر النهار ويُشرق كوكب الصبح في قلوبكم

«يا إخوةُ اجتهدوا أن تجعلوا دعوتكم وانتخابكم ثابتَيْن. فإنَّكم أذا فعلتم ذلك لا تزلّون أبداً» (٢بط١: ١٠).

اجتهدوا أيّها الأخوة المسيحيّون أن تجعلوا دعوتكم ثابتة عندما تؤمنون بالمسيح. (ثابتة بالأعمال الصالحة). لقد اختاركم اللّه من بين اليهود لكي ترثوا الخيرات الأبديّة عن طريق الإيمان بالمسيح. تتثبّت دعوتكم عندما تكتسبون الفضائل المذكورة آنفاً (١: ٥-٧). **الإيمان، الفضيلة، المعرفة، العفّة، الصبر، التقوى، الأخوّة والمحبّة.** إن اكتسبتم هذه الفضائل لن تخطئوا ولن تنحرفوا عن الدعوة وعن الاختيار من اللّه.

﴿ هناك فرق بين الدعوة والإختيار. الدعوة شاملة، الإختيار جزئيّ. كلّ اختيار هو دعوة. وكلّ دعوة هي اختيار. لقد دعا اللّه مثلاً الكلّ عن طريق الناموس الطبيعيّ لكنّه اختار اليهود إلى المعرفة الإلهيّة. لقد دعا الكلّ إلى الإيمان بالمسيح. لكنه اختار المسيحيّين عن طريق الإيمان. هناك أيضاً اختيار البعض للمجد الأبديّ والغبطة، الذين يبقون حتى الأخير مستمرّين في النعمة وفي الفضيلة. هنا إذاً ضرورة مساهمة إرادتنا ﴾.

وكأنّ الرسول بطرس يريد أن يقول: إن لم يكتسب المسيحيّ مثل هذه الفضائل يكون أعمى ولا يستطيع أن يعاين في قلبه (النوس) أسرار اللّه. إذاً هذا العمى ليس بالطّبيعة يُعالَج، بل بالإرادة لذلك إن اجتهدتم تطهّرون عين الإيمان لتعاين أسرار اللّه فتنتهون إلى معرفة اللّه. فتتثبّت الدعوة والاختيار.

الثبات في النهاية هو صعوبة الميل نحو الخطيئة والشرّ عند الذين يتمّمون الفضائل بالنظريّة والعمل. حسب القديس ميتروفانس.

«وهكذا تُمنَحون بسخاء أن تدخلوا ملكوت ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الأبديّ» (٢بطرس١: ١١).

الذين يعملون هذه الفضائل المذكورة سابقاً وحتى النهاية يُفتَح لهم باب الملكوت، ملكوت الربّ الأبديّ لأنّ أجرة عمّال كرم الربّ تُعطَى في نهاية الطريق. مَنْ عَمِلَ في الكرم من الساعة الأولى أي من سنّ شبابه، أو من الساعة الثالثة أو السادسة أي في وسط حياته، أو في الساعة الحادية عشر أي في شيخوخته لا يأخذ أجرة لأنّ الربّ يعطي الأجرة في آخر النهار أي في نهاية حياة كلّ واحد. والذين يعملون الفضيلة يأخذون أجرة مناسبة. الذين يتكاسلون لا يأخذون الأجرة بل يُحاكَمون. هذا ما أظهره اللّه على سبيل الرمز في حزقيال: «وأنتَ يا ابنَ البَشر فقل لبني شعبك إن برّ البار لا ينقذه في يوم معصيته، ونفاق المنافق لا يهلكه في يوم توبته عن نفاقه» (حز٣٣: ١٢). ﴿ «ولهذا عينه وأنتم باذلون كلّ اجتهاد قدّموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعفّفاً وفي التعفّف صبراً وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودّة أخويّة وفي المودّة الأخويّة محبّة» (٢بطرس ١: ٥-٧) ﴾.

«لذلك لا اهمل تذكيركم دائماً بهذه الأمور وان كنتم عالمين بها وراسخين في الحقّ الحاضر» (٢بطرس١: ١٢).

إنّ عمل الفضائل يقود إلى ملكوت السماوات لذلك أودّ أن أذكّركم دائماً بأهميّة هذه الفضائل. وحتّى لا يشعر المسيحيّون أنّه

يذكّرهم بذلك بسبب كسلهم وتهاملهم، يضيف أنّه يفعل ذلك بالرغم من ثباتهم في حقيقة الإنجيل وعلمهم أنّ الإيمان بدون الأعمال ميت، لأنه عن طريق الإيمان مع عمل الفضائل بالنّظر وبالفعل يؤهّل المسيحيّون إلى الملكوت السماويّ.

« وأرى من الحقّ أني ما دمتُ في هذا المسكن أُنهضكم بالتذكير فأني أعلم أنَّ خلع مسكني قريبٌ كما أعلن لي ربُّنا يسوع المسيح» (٢بطرس ١ : ١٣ -١٤).

لا تعتقدوا أيها المسيحيّون أنّي أحسبكم كسالى وغير مثبّتين عندما أذكّركم بضرورة عمل الفضائل. أفعَل ذلك لأني أخشى من ضعف الطّبيعة الإنسانيّة ومن تبدّل رأي الإنسان الطبيعي. لذلك **ما دمتُ أنا موجوداً في هذا الجسد الفاسد المائت** «**المسكن**» أنهضكم أي أوقظكم كما من نوم بالتعاليم وبالتذكرة. وإني إضافة لذلك أعلم أنني سوفَ أُفصَل عن الجسد فلا أعود أستطيع التكلّم معكم، إذ أظهر لي الربّ ذلك عن طريق الرؤيا. هنا نلاحظ نقطتين هامّتين عند الرسول بطرس:

أولاً: إنه سوف يتحرّر قريباً من ثقَل الجسد ويقترب بفرح من الربّ. ممّا يعني ان **الموت ما هو إلاّ اَنتقال إلى الحياة**. علماً بأنّه سوف يرتدي من جديد جسداً خفيفاً غير فاسد ممجّداً عن طريق القيامة. هذا كلّه يظهره بولس في قوله: «فإنّنا نحن الذين في الخيمة نئنّ مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكي يُبتلع المائت من الحياة» (٢كور٥: ٤).

وثانياً يجب أن نلاحظ أنّ الربّ في كثير من الأحيان يؤهّل الرسول بطرس إلى رؤية غير المنظورات كما هو الحال في السماط النازل من السماء الكاشف أنّ الأمم مدعوّون أيضاً إلى الخلاص (أع١٠: ١١).

«وسأجتهد أن يكون لكم بعد خروجي تذكُّر هذه الأمور كلَّ حينٍ » (٢بطرس ١: ١٥).

يفهم ثيوفلكتوس وإيكومانيوس الجملة على الشكل التالي: **إن القدّيسين حتى بعد الموت يذكّرون بأمور الحياة الحاضرة ويتشفّعون من أجل الأحياء**. قال سابقاً إنه ما دام في الجسد يذكّرهم بكل ذلك. أضاف كلامه في الآية ١٥:١ حتى لا يعتقدوا أنّ القدّيسين لا يفيدون تلاميذهم بعد الموت. لأنّ النفوس هناك هي أنقَى وأَطهر لتُذكّر الأحياء. فتبقى قوّتها تعمل بعد الموت وبفاعلية أكبر.

هكذا فإنّ بعد إنفصالي عن الجسد سوف أهتمّ بكم بازدياد، وأتوسّل إلى اللّه المحبّ البشر لكي يهبكم الحكمة ويجعلكم تتذكّرون تعاليمي التي لم أتلقّنها من حكمة بشريّة، بل من الربّ يسوع المسيح الحكمة المتجسّدة الآتية من فوق.

﴿إن سفر المكابيين يشهد على أنّ القدّيسين يتذكّرون بعد الموت كلّ ما هو على الأرض ويتشفّعون من أجل الأحياء. لأنّ ارميا وأونيا

القدّيس بطرس الرسول

يظهران يصليان إلى اللّه من أجل اليهود الواقعين في الشدائد (٢مكابيين١٥:٢)﴾.

يكتب القديس غريغوريوس اللاهوتي ان القدّيس باسيليوس الكبير بعد موته ظهر له مراراً ووبّخه. كما جاء أيضاً في سفر الرؤيا. «خرّت الأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف ولهم كلّ واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوّة بخوراً هي صلوات القديسين» (رؤ ٥:٨).

وهناك من فهم الآية على الشكل التالي: اجتهد أن يكون لكم هذه الذكرى بعد موتي. أذكّركم دوماً بتعاليمي حتى تنطبع كلماتي في مخيّلتكم حتى إذا انتقلتُ من هذه الحياة يبقى ذكرها ثابتاً في قلبكم.

«لأنّا لم نتبع خرافات مصنّعةً إذ أعلمناكم قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئَهُ بل كُنَّا معاينين جلالهُ» (٢بطرس١: ١٦).

يعرض الرسول هنا نقطتين: أولاً يدحض حكمة الوثنيين المتعدّدة الآلهة التي تعتمد على خرافة كاذبة وعلى خطابة مصطنعة، وتخدع السامعين بجمال كلماتها. وثانياً يؤكّد على صحّة إيمان المسيحيين بحسّ العينين. لأنّ النظر يُقنع أكثر من السمع بالرغم من قول الإنجيل: «طوبى للذين آمنوا ولم يَروا» (يو٢٠: ٢٩).

عن طريق الرؤيا يؤكّد الرسول بطرس على المجد الإلهي وعظمة ربّنا يسوع المسيح الظاهرة على جبل ثابور قائلاً للمسيحيين: أيها الأخوة نحن لا نستخدم أساطير جميلة محكّمة كما يفعل الوثنيّون لكي يخدعوا مسامعكم ويضلّوكم، بل نستخدمُ أقوالاً بسيطة بدون فنّ الخطابة. نستخدم أموراً رأيناها لكي نؤكّد على حضور المسيح بالجسد وعلى قدرته وهكذا نجلبكم إلى الإيمان.

﴿ لقد رأى الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا بأعينهم الجسديّة المخلوقة نورَ الألوهة غير المخلوق، غير المادي الساطعَ من جسد الربّ لا بقوّتهم الطبيعيّة فقط، بل بقوّة اللّه ونعمته الفائقة الطبيعة كما يؤكّد ذلك القديس غريغوريوس پالاماس مع القدّيس مرقس أفسس﴾.

« لأنهُ أخذَ من اللّه الآب الكرامة والمجد إذ جاءَهُ من المجد الفخيم صوتٌ يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت» (٢بطرس ١: ١٧).

أخذ السيّد المسيح من الآب مجداً وكرامةً لا كإله وكابن اللّه الوحيد المساوي للآب في الأزلية والكلمة المساوي له في عدم البداءة، بل كإنسان كما يشرح القدّيس متروفانس. وذلك في أوان التجلّي عندما سُمعَ من اللّه الآب الصوت القائل: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت».

﴿ يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: هذا الظاهر إنساناً ما هو إلاَّ ابني الحبيب هو اللّه نفسه (المقالة الثانية حول الابن) ويقول القدّيس افرام السرياني «هذا هو ابني الحبيب» لا الممسوح بمجد

ألوهته بل صرخ الآب من دون أن يكون مفصولاً عن مجد ألوهة الإبن. هذه هي الألوهة الحالّة في الجسد والمتّحدة فيه بلا تغيّر، لأن الآب والابن والروح القدس طبيعة واحدة، قوّة واحدة، جوهرٌ واحد، مجد واحد ... إلى الأبد. آمين﴾.

المسيح أقنوم واحد من طبيعتين: إله وانسان معاً. وُلدَ ابناً من الآب إلهاً قبل الدهور، ومن العذراء إنساناً في آخر الأزمنة. «الذي به سررتُ» حسب القدّيس غريغوريوس پالاماس (سرّ التجسد) تعني حسب مشيئة اللّه السابقة في سرّ تدبير ابنه بالجسد. وذلك قبل تحديد الكائنات الحسيّة والعقليّة.

يثبّت القديس مكسيموس المعترف مثل هذا المعنى قائلاً: إن هذا هو الهدف الذي من أجله حُدِّدت وخُلِقَت الكائنات الحسيّة والعقليّة كلها.

﴿ حسب الفلاسفة الميتافيزيقيين هو واسطة لا هدف، يقول القدّيس مكسيموس **إن سرّ تجسّد اللّه الكلمة هو نهاية** كونه يفوق على أعمال الثالوث القدّوس نحو الخارج كلّها وأسمى من نهاية كلّ النهايات. يقول: كل الدهور لها بداية ونهاية كونها في المسيح، من أجل المسيح وبحسب المسيح أُنشئَت.

سرّ التدبير الإلهي بالجسد هو واسطة لأنه به تمّت مشيئة اللّه السابقة حسب القدّيس مكسيموس، وجعلَ الملائكة لا يميلون إلى الشرّ حسب القديس غريغوريوس پالاماس، وأعطى الناس الأزليّة، الخلاص وخيرات لا تُحصَى. والسرّ **هو النهاية لأنّه صار كمالاً تأليهاً مجداً غبطة للملائكة والبَشر**. لأنه فيه تمّ الاتحاد بين الخالق والمخلوقات وتمجّد مجد الآب لا عن طريق المخلوقات، بل عن طريق الابن المساوي للآب في الأزليّة والآخذ طبيعة البَشَر ﴾.

نعود ونقول إنّ الكلمة «به سررت» تدلّ على ان الابن أخذ صورة عبد بمشيئة الآب السابقة وسَبَقَ أشعيا وأعلن هذا الصوت بقوله: «إني أنشد لحبيبي نشيد محبوبي في كرمه» (أش٥:١). ثم يضيف «ان كرم ربّ الجنود هو آل إسرائيل وانسان يهوذا الغرس الجديد ***Neophitos*** المحبوب» (أش٥:٧). انسان أو رَجُل يهوذا هو السيّد المسيح الذي من سبط يهوذا بحسب البشرة، والغرس الجديد المحبوب لأنه وُلدَ من بتول وأصبَح آدماً جديداً (راجع المزمور ٤٤ ترنيمة عن المحبوب).

« وقد سمعنا نحنُ هذا الصوت آتياً من السماء حينَ كنَّا معه في الجبل المقدّس» (٢ بطرس ١:٨).

يشهد الإنجيليون أنّ **بطرس ويعقوب ويوحنا** رأوا بأعينهم الحسيّة النور الإلهي غير المخلوق يشعّ من وجه الرب، وسمعوا بآذانهم صوت الآب غير المولود من السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت فاسمعوه». يقول القدّيس أفرام السرياني إنّ الصوت كان رهيباً إلى حدّ أنّ الجبل تزلزل بأكمله فخاف التلاميذ ولم يستطيعوا أن يحتملوا النور، فوقعوا على وجوههم إلى الأرض. لقد وقعوا على الأرض لا بسبب النور ولا بسبب السحابة المنيرة، بل بسبب صوت الآب الذي كان مثل الرعد، يقول متّى الإنجيلي: «وفيما هو يتكلّم إذا سحابة منيرة ظلّلتهم وصوتٌ من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً» (متى١٧:٥-٦). فمسك بهم الربّ وقوّاهم وأنهضهم وإلاّ تعرّضوا للموت بسبب خوفهم. هذا ما أشار إليه متّى بقوله: «فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا» (متى ١٧:٧).

﴿يقول القدّيس أفرام في عظته في التجلّي:«ناداهم بصوته، وكما أنّ صوت الآب الرهيب أسقطهم كذلك صوت الابن بقوّته أنهضهم في مجده» هذا الخوف لم يكن مستعبداً بل خوف الكاملين﴾.

يقول الإنجيليون «صوت من السحابة» أمّا بطرس هنا يقول «صوتٌ من السماء» هذا لأنّ السحابة سماويّة لا أرضيّة. ولم يذكر هنا بطرس كلام اللّه الآب «وله اسمعوا» (مرقس٩:٧).

عن طريق السَمع وخاصّة عن طريق العين تأكّد بطرس من معرفة المسيح في طبيعتيه الإلهيّة والإنسانيّة.

يقول **القديس يوحنا الدمشقي** في مقاله عن التجلّي: «تجلّي الربّ أمام الرسل باقياً هو نفسه ما كان قبلاً بالرغم من ظهوره الآن آخراً للتلاميذ». ليَخزَ إذاً النسطوريّون وكلّ مَن ينكر طبيعَتيّ المسيح.

لقد شهد الآب للابن ثلاثاً من السماء : على ضفّة الأردن وكذلك قبلَ الآلام: «أيها الآب مجّد اسمك. فجاء صوتٌ من السماء مجّدت وأمجّد أيضاً» (يوحنا١٢:٢٨).

السيّد المسيح الضابط الكل، وسط الأنبياء الإثني عشر

«وعندنا أَثبتُ من ذلك وهو كلام الأنبياء الذي تُحسنون إذا أَصغيتم إليه كأَنَّهُ مصباحٌ يُضيءُ في مكانٍ مُظلم إلى أن ينفجر النهار ويُشرق كوكب الصبح في قلوبكم» (٢بطرس ١:١٩).

عن طريق المعاينة الحسيّة التي جعلتنا نرى النور الفائق الشمس المشرق من وجه الربّ، وعن طريق السّمع الحسّي الذي جعلنا نسمع الآب يشهد على أنّ المتجلّي هو ابنه الحبيب، عن طريقهما فهمنا أقوال الأنبياء الكارزين عن المسيح وخاصّة عن تجلّيه على جبل ثابور كيف تمّت هذه الأقوال وثبتت.

في السابق كانت الأقوال حقيقية كونها ملهمة من الروح، لكن الآن تمّت فثبتت حقيقتها أكثر من السابق. مثلاً كان لدينا أقوال داود عن النور الإلهي: «أنتَ المتسربل بالنور كالثوب» (مز١٠٣ :٢). الآن رأى الرُسل ثياب المسيح تلمع كالنّور في التجلّي الإلهي فثبتت «الكلمة النبويّة» أكثر من السابق. فسمع داود أيضاً ينبىء عن فَرح الرسل على ثابور من أجل صوت الآب الذي يشهد باسم الاب المحبوب. «ثابور وحرمون باسمك يبتهجان» (مز٨٨ :١٣).

فثبتت «الكلمة النبويّة» هذه عند سماع صوت الآب على الجبل، وكذلك الأقوال النبويّة الأخرى حول السيّد المسيح ثبتت الآن أكثر من السّابق.

تجد أقوال الأنبياء مكانها بين الناموس القديم ونعمة الإنجيل. يُنصَح بأن تنتبهوا أنتم المسيحيين إلى مثل هذه الأقوال النبويّة التي أصبحت أثبت اليوم ما دمتم بعد مبتدئين ولم تحظوا بالإستنارة العقليّة في قلبكم.

إذاً نستمع إلى الأقوال النبويّة لا طيلة حياتنا، بل إلى حين يشعّ نور النهار العقليّ أي المسيح شمس العدل الذي يشرق سريّاً في قلوبنا عن طريق استنارة الروح القدس.

كيف يشرق مثل هذا النّور في القلب؟

عن طريق العمل بالوصايا عن طريق اكتساب الفضائل النظريّة والعمليّة، عن طريق **الصلاة القلبيّة** مع نوح القلب والدموع. هكذا يتنقّى القلب والإنسان الداخلي من الآلام والشهوات والرذائل. بعد **تطهير القلب** تكتسب الفضائل في النفس سلامة الأفكار، **التواضع** الصائر بالروح القدس، الوداعة وتاج الفضائل **المحبّة**.

عند إشراق النور في القلب «ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح» كوكب الصبح هو الذي يأتي بالنور في الفجر وهو يشير إلى يسوع المسيح (راجع رؤيا ٢٢:١٦).

« لقد ارتسم علينا نورُ وجهك يا ربّ» (مز٤:٦).

لا يعود المسيحيّ بحاجة إلى سماع الناموس والأنبياء لأنّ المسيح مُعطي الناموس وملهم الأنبياء يكون في النور الإلهي والنعمة في القلب ويعلّمنا سريّاً أسمى العقائد اللاهوتيّة. هذا قاله بولس الرسول: «لأنّ اللّه الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة مجد اللّه في وجه يسوع المسيح» (٢كور٤:٦).

الشياطين تخاف من ...

حين كان القدّيس يوحنّا البوستيريني موجوداً في أنطاكيا السوريّة يقضي بعض الأعمال، أحضروا إليه أربع ممسوسات كنّ يتفوّهن بأشياء مختلفة بفعل الشيطان. ولدى سماع القدّيس يوحنّا لهنّ سألهنّ عن مواضيع متعدّدة كسقوط الشياطين من السماوات، عن الفردوس، عن الثمرة التي أكلها آدم، عن الحيّة وعن أشياء أخرى لا نأتي عل ذكرها هنا بسبب ضعف الكثيرين.

ولكنّنا نذكر من بينها أمرين أساسيّين لتوطيد إيمان القرّاء.

سأل القدّيس يوحنّا الشياطين التي كانت ساكنة في الممسوسات:ـ

هل تخشون الصلاة الربّيّة «أبانا الذي في السموات...» والمزمور التسعين «الساكن في عون العليّ...» و «معنا هو اللّه...» التي تفوّه بها القدّيس أشعياء النبيّ؟

ـ نعم، لأنّ هذه الصلوات نافعة.

ـ وهل تخشون صلاة: «**ليقم اللّه وليتبدّد جميع أعدائه؟**»

ـ توقّفْ. لا تتفوّه بهذه الأقوال. لا يوجد في الكتاب المقدّس كلّه قول أقوى من هذا القول الذي يبدّد قوّتنا.

ـ أيّة أمور تخشونها من المسيحيّين ؟

ـ لديكم ثلاثة أمور عظيمة: الأوّل هو هذا الذي ترتدونه في عنقكم. والثاني هو الحمّام الذي تغتسلون به في الكنيسة. والثالث هو ما تأكلونه في الاجتماع الليتورجيّ أي: الصليب المقدّس، والمعموديّة المقدّسة، والمناولة الإلهيّة.

ـ وأيّ هذه الثلاثة تخشون أكثر؟

ايها المسيح لقد نزلت الى أسافل دركات الأرض. فسحقت الامخال الدهريّة المثبّتة الضابطة المعتقلين. وفي اليوم الثالث قمتَ ناهضاً من القبر. كما برز يونان من الحوت

ـ إذا حافظتم جيّداً على هذا الذي تتناولونه، فلا أحد منّا يستطيع أن يؤذي أحداً منكم.

مَجَّدَ القدّيس يوحنّا اللّه على ما سمع، وبعد ذلك سأل الشياطين ثانية:ـ

أيّ إيمان تحبّون من بين ديانات العالم؟

ـ نحبّ كلّ الديانات التي لا تمتلك الأشياء الثلاثة التي ذكرناها، ولا تعترف بابن مريم إلهاً وابناً للّه.

ـ وكيف تعترفون أنتم به عندما تهتفون: «ما لنا ولك يا يسوع ابن الله؟»

صمتت الشياطين قليلاً ثمّ أجابت: «**صرخنا أنّه ابن اللّه ليس لأنّنا أردنا ذلك، بل لأنّ قوّته أجبرتنا. وذلك كي يخزى اليهود الذين كانوا يجدّفون عليه ويقولون إنّه عاصٍ للناموس**».

كشف الشيطان بفم الممسوسات أشياء كثيرة أمام العديدين، وهؤلاء نقلوا للآخرين كلّ ما سمعوه وشاهدوه.

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٢٦)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

الذي من أجلنا نحن البشر... تجسَّد

كثيراً ما نتكلَّم عن اقتحام الفضاء، والاكتشافات الجبَّارة في العلم ، ونأمل في فتح جديد لمرض السرطان. أمَّا أعظم الإقتحامات الجبَّارة قاطبة التي حدثت في التاريخ فقد كانت يوم ميلاد المسيح: «أمال السماوات ونزل» (مز١٧:٩)، وأيضاً: «**لأنه** افتقَد وصنع فداءً لشعبه» (لو٣:٦٨). هذه هي معجزة المعجزات وأعجوبة الأعاجيب. إننا لا يمكننا أن نفهمها على الإطلاق، ولكن يمكننا أن نركع في خشية أمام المذود ونمجِّد اللّه على محبّته اللانهائية.

مَن هذا ؟

مَن هذا الذي جاء إلينا يوم الميلاد ؟

القديس يوحنا اللاهوتي يمدّنا بالإجابة في الإصحاح الأول من إنجيله: «والكلمة ـ اللوغوس ـ صار جسداً وحلَّ بيننا» (يو١: ١٤). الكلمة: «**اللوغوس**» في اللغة اليونانية تعني أمرَيْن: الأوّل الكلمة والثاني العقل (الإدراك). وبالنسبة لليهود، فإنّ الكلمة لوغوس تعني كلمة، كلمة اللّه كُلّيّة القدرة التي خلق بها العالم: «وقال اللّه، ليكن نور فكان نور» (تك١:٣). إن كلمة اللّه هي القوّة الخالقة.

أما بالنسبة لليونان في أيام المسيح، فكانت كلمة لوغوس تعني عقل. نظر الفلاسفة الإغريق إلى العالم ورأوا فيه نظاماً رائعاً فخماً منضبطاً تماماً. مَن الذي يُسبِّب هذا الانضباط والنظام؟ ما هذه القدرة التي تجعل العالم يستمرّ وأيضاً يُحفَظ في نظام مضبوط؟ أجاب الإغريق بلا تردّد: «إنَّه لوغوس اللّه، كلمة اللّه، إن عقل اللّه هو علَّة النظام العظيم للعالم».

لذلك فبالنسبة لليهود فإن اللوغوس هو القوّة الخالقة التي قد خَلَقَ بها العالَم، وبالنسبة لليونانيين هو العقل الأسمى الذي يحفظ النظام في الكون. أمَّا بالنسبة لنا اليوم فإن الكلمة اللوغوس تعني الإتِّصال. إن الكلمات تُوصِّل لنا المعنى؛ فإننا نستخدم الكلمات ليتمكّن الآخرون أن يعرفوا ماذا يجول بخاطرنا. وكما أن الكلمات تُعبِّر عن أفكارنا الداخليّة، إنه يجعل إرادة اللّه وغرضه وهدفه معروفة لدينا، هذا الكلمة الأزلي أتى إلى الأرض ليكون: «**لغة**» اللّه للبشريّة، حاملاً في شخصه رسالة الحياة والخلاص للعالم، ومن خلال هذا الكلمة قُطِعَ صمت اللّه، واتَّصل اللّه بالإنسان، وتكلَّم شخصياً بلغة يمكننا أن نفهمها.

ظلّت أم تشير إلى صورة زوجها الذي كان متغيّباً عن المنزل لمدة سنتين، وكانت تقول لطفلتها إنَّ هذا هو والدها الغالي وكم هو إنسان عجيب! وبعد عدَّة شهور عاد الوالد إلى المنزل، وللتو احتوى ابنته الصغيرة بين ذراعيه واحتضنها وهو يمطرها بقُبلاته، وبين دموع الفرح قالت الطفلة لأمّها: «انظري، ها قد خرج والدي من برواز الصورة». هذا ما حدث بالضبط، إذ أن يسوع ـ قوّة اللّه وحكمته ـ هبط لنا من برواز العالم وَ: «حَلَّ بيننا» ليحتضنَّا ويمدّ يديه على الصليب ويرينا محبّته اللانهائية.

فقال الأب: لأن ابني هذا كان ميّتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد.

هذا الكلمة الذي صار الآن جسداً هو نفسه الإله الذي رآه أشعيا في الرؤيا والسيرافيم يُغطُّون وجوههم بأجنحتهم أمامه ويصيحون في خوف ورعدة: «قدّوسٌ قدّوس قدّوس رب الصباؤوت !» ، الخليقة لا تجرؤ أن تنظر إليه. هذه هي عظمة اللّه المُرهبة، لا يمكن لإنسان أن يرى اللّه ويعيش. إن هذا الإله الفائق الذي لا يُقتَرب منه، غير المُدرَك، الكلمة العجيب هو الذي صار جسداً. إنه اقترب إلينا جداً إلى درجة أمكنه أن يقول معها: «هنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشّى معه وهو معي» (رؤ٣:٢٠). إن الإله العظيم الذي لا يحويه كل الفضاء الخارجي يرغب أن يَكون له مسكناً في المكان الداخلي لقلبي وقلبك.

إننا نقرأ في (خر٣:٧-٨): «فقال الرب إنّي قد رأيتُ مذلّة شعبي الذي في مصر وسمعتُ صراخهم من أجل مُسَخِّريهم، إنّي علمتُ أوجاعهم، فنزلتُ لأنقذهم من يد المَصريين، وأُصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيِّدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً». إنه أتى في ذلك الوقت من خلال خادمه موسى ليُخلِّص شعبه من عبوديّة المصريين، أمَّـا الآن فقد أتى بشخصه لَينقذنا من عبوديّة الخطيّة والموت، ليقودنا في مملكة الحريّة والسلام والمحبّة: «هوذا مسكن اللّه مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً واللّه نفسه يكون معهم إلهاً لهم، وسيمسح اللّه كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد...» (رؤيا٢١:٣-٤).

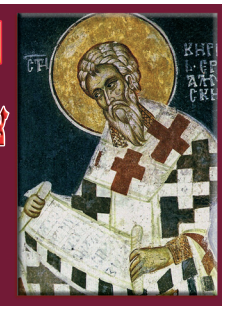

العظات الثمانية عشر لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة العاشرة في العماد

«... وبربٍّ واحد يسوع المسيح»

«هناك كثير من الآلهة وكثير من الأرباب وأما عندنا نحن، فليس إلاّ إله واحد وهو الآب، منه كل شيء وإليه نحن راجعون، وربّ واحد وهو يسوع المسيح به كان كل شيء وبه نحن قائمون» (١كور٨:٥-٦)

١ ـ لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بالإبن

يجب على الذين تعلّموا وآمنوا بإله واحد آب ضابط الكلّ، أن يؤمنوا كذلك بالإبن الوحيد؛ «لأنَ مَن يُنكر الابن ليس له الآب» (١يو٢:٢٣). يقول يسوع: «أنا الباب» (يو١٠:٩) «لا يأتي أحد الى الآب إلاّ بي» (يو١٤:٦). وعليه، إن أنكرت الباب تُقفَل عليك المعرفة للوصول الى الآب. «ما من أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن شاء الابن أن يكشف له» (متى١١:٢٧). فإن أنكرت الذي يكشف لك، فأنت تبقى في الجهل. هذا حُكم الإنجيل الذي يقول: «مَن لم يؤمن بالابن لا يَرَ الحياة الأبديّة، بل يلزمه غضب اللّه» (يو٣:٢٦). فالواقع أن الآب يغضب عندما يُستهان بابنه الوحيد. إنه لمن الخطورة بمكان في نظر مَلك أن يُهان أحد جنوده؛ ولكن اذا كانت الإهانة تلحق بأحد فرسانه المجيدين أو بأحد أصدقائه، فإنه يستشيط غضباً. وإذ أُهين الابن الوحيد للملك، فمن يقدر عندئذ أن يطفىء ثورة غضب الأب من أجل ابنه الوحيد ؟

٢ ـ الآب نفسه يوصينا بالإبن

فإن أراد أحد أن يُظهر ورعه للّه، فليعبد الابن، وإلاّ فان الآب لن يقبل عبادته. لقد أعلنه الآب في السماء قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى٣:١٧). سُرَّ اللّه بابنه؛ وإن أنتَ لا تُسرّ به فلن تكون لك الحياة. لا تنساق الى اليهود الذين يقولون كافرين بأنّه لا يوجد إلاّ إله واحد.

بل عليك ، بعد أن رأيت أن اللّه واحد، أن تعترف أيضاً بابن اللّه الوحيد. إني لست أول القائلين بذلك؛ إن صاحب المزامير يقول عن أقنوم الإبن: «الرب قال لي: أنتَ ابني» (مز٢:٧). لا تتمسّك بما يقوله اليهود، بل بما يقوله الأنبياء. لماذا تتعجّب من إزدرائهم لأقوال الأنبياء، إن كانوا قد رجموا الأنبياء، وقتلوهم ؟

٣ ـ واحد هو الابن

آمن أنت بربّ واحد يسوع المسيح، ابن اللّه الوحيد. إننا نقول «واحداً» حتى لا نفكّر في آخر غيره. ونقول إنه واحد، حتى أن العدد الكثير من الأسماء ـ التي تطلق على وجوه نشاطه المختلفة ـ لا يحملك على الإعتقاد كفراً بتعدّد الابناء إنه يُدعى «الباب» ، ولكن هذه التسمية لا تعني باباً خشبياً (يو١٠:٧)، بل باباً روحيّاً، حيّاً، يميّز بين الداخلين منه. ويدعى «الطريق» ، ولكن ليس هو الطريق الذي يُداس بالأقدام (يو١٤:٦)، بل الطريق الذي يؤدّي الى الآب السماوي.

آباء الكنيسة، أبطال الإيمان القويم

ويدعى «النعجة/الشاة/الخروف» ، لا الحيوان غير العاقل، (أشعيا ٥٣:٧-٨)، بل تلك التي بدمها الكريم تطهّر العالم من خطاياه، وتُساق إلى الجزّاز والجزّار وتعرف كيف تلتزم الصمت (أشعيا ٥٣:٧ اعمال٨:٣٢). وهذه النعجة تدعى بدورها «الراعي»، عندما يقول: «أنا الراعي الصالح» (يو ١٠:١١). إنه نعجة بسبب ناسوته وراعٍ بسبب صلاح ألوهيته. هل تريد أن تعرف أن الأمر يتعلّق بنعاج عاقلة ؟ إسمع ما يقوله المخلّص للرسل: «هاأنذا أرسلكم كالنعاج بين الذئاب» (متى١٠ :١٦). وهو يدعى أيضاً «أسداً» ، لا الحيوان الذي يفترس البشر، بل نريد أن نظهر بهذه التسمية كرامة شخصه الملكيّة، الثابتة، الهادئة. إنه يُدعى أسداً لمقابلته بالأسد المُعادي الذي يزأر ويفترس جميع الضالين (١ بطرس ٥:٨) أمّا المخلّص فإنه جاء ـ بدون أن يغيّر وداعة طبيعته ـ كأسد قويّ من سبط يهوذا (رؤيا ٥:٥ ، تك ٤٩:٩)، ليمنح الخلاص للمؤمنين ويصرع العدوّ. ويدعى «حجراً» لا ذلك الحجر الأصم الذي نحتته أيدي البشر، (١بطرس ٥:٨)، بل حجر الزاوية الذي يرتكز عليه المؤمن ولا يُخزى.

٤ ـ أسماء المسيح

يدعى «المسيح» (متى ١:١٦)، أي المسوح ليس بأيد بشريّة، بل مسحة الآب (اعمال ٤:٢٧) الى الأبد لرئاسة الكهنوت لأجل البَشر (عب٥:٥). ويُدعى «ميتاً» (رؤيا ١:١٨)، وهذا لا يعني أنه بقي بين الأموات في الجحيم كسائر البشر، بل هو الوحيد الذي ظلّ حرّاً بين الأموات (مز٨٧:٥). ويدعى «ابن الإنسان» (متى١٦ : ١٣) ، لا لأنه من أصل أرضي مثل كل واحد منّا نحن البشر، بل لأنه آت على السحاب ليدين الأحياء والأموات (متى٢٤:٣٠). ويدعى «رَبّاً» (لو٢:١١)، لا على سبيل المغالاة كما هي الحال بين البشر، إنما هو ربّ بطبيعته ومنذ الأزل. ويُدعى «يسوع»، وهو اسم يليق به (متى١:٢١،لو ١:٣١)، لأنه يأخذ هذه التسمية من الشفاء الخلاصي الذي يمنحنا. ويدعى «ابناً» (متى٣:١٧ ، مز٢:٧)، ليس لأنه نال البنوّة بالتبني، ولكن لأنه وُلد بحسب الطبيعة. كثيرة إذن هي الأسماء التي تُطلَق على ربّنا. ولَكن لئلا تحملك هذه الأسماء على الإعتقاد بأن هناك أبناء كثيرين، ولئلا تكون أضاليل الهراطقة ـ الذين يقولون إن المسيح هو غير يسوع، وآخر هو «الباب» ... ـ حجرَ عثرة لك، فقانون الإيمان يحذّرك حقّاً بقوله: «وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح». فالأسماء كثيرة، ولكنها لشخصٍ واحد.

رقاد والدة الإله وانتقالها الى السماء

الفكر الذي في المسيح

للقديس يوحنا الذهبي الفم

الرسالة

تعظم نفسي الرب لأنه نظر إلى تواضع أمته

فصلٌ من رسالة القديس بولس الرسول الإولى الى اهل فيلبّي (٢: ٥-١٠)

يا إخوةُ ليكن فيكم الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً ❊ الذي إذ هو في صورة اللّه لم يكن يعتدُّ مساواته للّه إختلاساً ❊ لكنّه أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشرٍ في الهيئة ❊ فوضع نفسه وصار يُطيع حتى الموت موت الصليب ❊ فلذلك رفعه اللّه ووهبه إسماً يفوق كلَّ إسم ❊ لكي تجثو بأسم يسوع كلُّ ركبة مما في السماوات وما على الأرض وما تحتَ الأرض ❊ ويعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح ربٌّ لمجد اللّه الآب

مقدّمة : التواضع

عندما كان الربّ يسوع المسيح يحثّ تلاميذه على العظائم، كان يقدّم لهم، كنموذج، إمّا نفسه أو الآب أو الانبياء، قائلاً مثلاً: «تعلّموا منّي فإنّي وديع» (مت١١: ٢٩) ؛ «إن كانوا اضطهدوني فسيضطهِدونكم» (يو١٥: ٢٠)؛ «فكونوا رحماء كما أنّ أباكُمْ أيضاً رحيم» (لو٦: ٣٦)؛ «فإنّهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قَبلَكُمْ» (مت٥: ١٢).

هذا ما فعله أيضاً بولس، حاثاً أهل فيلبي على التواضع، عندما أتى اليهم بنموذج المسيح، لا هنا فقط، بل أيضاً عندما يتكلّم عن الفقر قائلاً: «فإنّكم تعرفون نعمة ربّنا يسوع المسيح أنّه افتَقَر من أجلكم وهو غَنيّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كور٨: ٩). لأنّه ليس من شيء يدفع النفس الى الإحسان أكثَر من أن تعرف أنها بهذا العمل تتشبّه باللّه.

ورَبّ متسائل: أليسَ هذا العمل من التكبّر لا من التواضع؟ لكي نُجيب على هذا السؤال، علينا أن نعرف أوّلاً ما هو التواضع الحقيقي؟ هل هو في أن يتفكرَ الواحد بصغار الامور؟ والواقع هو أنّه كذلك، شرط أن ينطلقَ من رَغبة المرء الطَّوعية، لا من الاضطرار. وإليكم إيضاح ذلك: **عندما يفتكر الواحد بصغار الامور، وهو قادرٌ على عظامها، يكون تواضعه حقيقياً** ؛ وأمّا إذا افتكر بالصّغار، عاجزاً عن الإتيان بالعظام، فلا يكون متواضعاً بالفعل. وخُذْ مثال الملك الذي يخضعُ لعبيده، فيكون متواضعاً حقّاً، إذ يتنازل من سموّ منزلته ؛ في أنّ العبد الذي يخضع لسيّده لا يُعتَبرُ متواضعاً، لأنه لم يتواضع بإرادته الطوعيّة، وإنما جاء تواضعه عن اضطرار.

الذي إذ هو في صورة اللّه لم يكن يعتدُّ مساواته للّه إختلاساً ❊ لكنّه أخلى ذاته آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه البشر (في٢: ٦-٧).

يزعمُ الهراطقة أنّ كلمة «**اختلاساً**» تشير الى اختلاس الألوهة. وهذا التفسير بلا معنى، إذ لا يحث على التواضع، ولا يفيد تعظيم اللّه أو الإنسان. إنه ينطلق من الاعتقاد بأنّ التواضع يؤدي الى خسارة السلطة، أيْ أنّ الابن إذا تواضع خَسرَ مساواتَه للّه.

مَن اختَلَس مما ليس له، تمسّك به، مخافة أن يخسره ؛ أمّا مَن له السلطان اصلاً، فلا يخاف من التخلّي عن سلطانه هذا، لأنه لا يخاف من خسارته. فأبشالوم، مثلاً، اغتصَبَ السّلطة ولم يشأ أن يتخلّى عنها. وهكذا كلّ مَن اختلس شيئاً ما، يتمسّك به بحرص، لأنه يخسره بمجرّد تركه. وبناءً عليه، فإنّ ابن اللّه الذي هوَ بطبيعته ذو سلطان إلهيّ، لا يخسر شيئاً إنْ تخلّى عنه. من هنا القول إنّه «لم يكن يعتد مساواته للّه اختلاساً» (٢: ٦)، أي إنّ مساواته للّه كانت من طبيعته، ولم يختلسها، لذا:

أخلى ذاته آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه البشر (في٢: ٦-٧).

كيف أخلى ذاته؟ «آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه البَشر، وموجوداً كبشر في الهيئة». قال هذا ليعلمنا أن نعتبر الآخرين كلهم أرفع من أنفسنا. التواضع هنا كامن في أنّه ارتضاه بملء إرادته.

ماذا يقول الهراطقة؟ يقول **مركيون** الذي من البنطس: «لم يصر اللّه إنساناً، بل صار في شبه البَشر». فنجيب إنّ العبارة «في شبه البَشر». تُشير إلى إنسان كامل آخر، وإلاّ فكيف نفهم قولَ يوحنّا الإنجيليّ: «والكلمة صار جسداً» (يو١:١٤)، وقول بولس: «في شبه جسد الخطيئة» (رو٨:٣) ؟!.

يقول **مركيون** إنّ عبارة «في شبه الناس» تعني أنّه لم يكن إنساناً بالطبيعة. فنجيب بأنّ بولس لم يَقُل «في شبه صورة عبدٍ»، بل قال: «آخذاً صورة عبد». لم يَقُل: «عَمِلَ عمَل عبد»، بل قال: «آخذاً صورة عبد». العمل هو غير الصورة، والفارق بين الكلمتين كبير ؛ فالصورة تشير إلى الطبيعة، بينما العمل يشير إلى القوّة energie (راجع يو١٣:١٤).

وقال هرطوقيّ آخَر، وهو **بولس السّميساطي** ، إنّ ابنَ اللّه مخلوق. فنجيب: إنْ كان غَسلَ أرجل تلاميذه كإنسان، فَلَمْ يُخْلِ ذاته ولا تواضع. هو وحده تنطبق عليه عبارة «إذْ هو في صورة اَللّه»، ولا ينطبق على بطرس وبولس اللّذين، رغم إنجازهما أعمالاً عظيمةً، يقول بولس الرسول: «فإنّنا لسنا نكرزُ بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربّاً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكُم من أجل يسوع» (٢كور ٤:٥).

● ماذا يعني بالقول: «موجوداً كبَشر في الهيئة»؟ يعني كانت لديه خصائص إنسانيّة مثلنا، ولكنْ لا كلُّها، فمثلاً لم يرتكبْ خطيئةً. كان إنساناً كاملاً، ولئن لم يُشبه كل ما في الإنسان. نحن من نفس وجسد، وهو اللّه مع نفس وجسد. فلا نعتقدنَّ أنّه عندما أخلى ذاتهُ تغيَّر في ذاته (تغيّرتْ طبيعته الإلهيّة أو حصلَ اختلاط). لكنْ، بقي ذاتُهُ واتّخذ ما لم يكنْ، إذ **أصبح إنساناً** وبقيَ اللّه الكلمة [1]. لذا يقول بولس: «موجوداً كبشر في الهيئة»، أيْ لم تتغيّر طبيعته الإلهيّة ولم يحصل اختلاط: اللّه الكلمة لم يتحوّل إلى إنسان، لم يتحوّل جوهره، إلاّ أنّه ظَهر كإنسان، لا لكي يخدعنا، بل **لكي يعلمنا التواضع**. هذا معنى العبارة «كبَشر». «يوجَد إله واحد، ووسيط واحد بين اللّه والناس، الإنسان يسوع المسيح» (اتيمو٢:٥). إذاً، «صورة اللّه» تعني إلهاً كاملاً ؛ و «صورة عبد» تعني إنساناً كاملاً؛ وقوله في صورة اللّه لم يكن يعتدّ مساواته للّه اختلاساً «تأكيد للألوهية» ؛ في حين أنّ العبارة التّالية «أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في البَشر» تشير إلى الطبيعة البشرية. والواحدة لا تعني الاختلاط ؛ ففي ربّنا يسوع المسيح ، لا تتحوّل الطبيعة إلى طبيعة أخرى، بل تتّحد معها.

وموجوداً كبشر في الهيئة * فوضع نفسه وصار يُطيع حتى الموت موت الصليب» (في ٢:٨).

أطاع بإرادته ، وهذا لا يقلّل من شأنه مُطلقاً. كإبنٍ أطاعَ الآب دونَ أن يسقط إلى رُتبة العَبد، بل أكرم الآب إكراماً عظيماً بصدق عجيب ! أكرَمَ الآب، لا لكي لا تكرمه هو ، بل لتزداد تعجّباً، وَتتعلّمَ من هنا أنّه ابنٌ أصيلٌ ، مُكرّماً اباه أكثر من الكلّ. بقدر ما كان كبيراً وضَعَ نفسه. على قياس عظَمته الفائقة الكل، بحيث لا يساويه أحد في عظمته، كذلك تفوّق الكُلّ في إكرامِ ابيه ، غير ملزم بذلك، بل مريداً بطوعه، تعبيراً عن فضيلته.

أن يصيرَ عبداً هو أمرٌ لا يوصَف، أمّا أن يكابد الموت، فهو الامر الأعجب من الكل. والاعجب أيضاً هي طريقة موته، أعني الصليب. فإنّه «صار لعنة من أجلنا، لأنّه مكتوبٌ: ملعونٌ كلُّ مَن عُلِّقَ على خشبة» (غلا ٣:١٣). لقد كان اليهود يعتقدون أنّه عن طريق صلبه المهين سوفَ يبتعد عنه مؤيّدوه. صلبوا معهُ لصّين، ليَتمَّ القول: «لقد حُسبَ مع الأثمة» (إش٥٣:١٢). إلاّ أنّ الحقيقة شَعَّتْ بازدياد. حاول أعداؤه أن يحاربوا مَجده بكل الوسائل. ومع ذلك كان العَجَبُ يكبر ويزداد. بالصّليب لم يرذله أصحابه، بل واحد من اللصّين تابَ وقالَ للآخَر: «أَوَلا تَخاف اللّه إذْ أنتَ تحت هذا الحُكم بعينه ؟!» (لو ٢٣:٤٠).

«فلذلك رفعه اللّه ووهبه إسماً يفوق كلَّ إسم» (في٢:٩).

إنّ بولس، بعد أن تكلّم على ألوهيّة المسيح (٢:٦)، ثمّ عن إنسانيّته (٢:٧)، واستفاضَ في الكلام على التواضع الأقصَى (٢:٨)، عاد إلى ألوهيته [2]. كيف يقول الهراطقة إنّه لم يتجسّد ؟ إذا كان ذلكَ صحيحاً، فكيف يقول «رفعه اللّه ؟» وما هو الاسم الذي أعطاه إيّاه ؟ الواقع أنّ الاسم هنا هو المجدُ الذي يفوق كلّ مجد (٢:١٠). **الاسم هنا هو المجد الذي يفوق كل مجد**. هو الربّ الممجّد.

«لكي تجثو بأسم يسوع كلُّ ركبة مما في السماوات وما على الأرض وما تحت الأرض» (في٢:١٠)، **أي كلّ العالم: الملائكة والبشر مع الشياطين، الابرياء والقتلة**.

«ويعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح ربٌّ لمجد اللّه الآب» (في ٢:١١).

هذا هو مجد الآب: أن يُمَجّد الابنُ، يمجّد الآبُ عندما يمجّد الابن. يُعَيَّرُ الآبُ عندما يُعَيَّرُ الابن. هذا ينطبق على الآباء والبنين، فكم بالأحرى ينطبق على اللّه. إنْ كانَ العالمُ يُطيع الابنَ، فسوف يمجّد الآب بهذه الطريقة.

(١) يقول ثيوذوريتوس: «لقد أخذَ كإنسان ما كان عنده كإله».

(٢) يقول القدّيس يوحنا الدمشقي: «هكذا الذي ارتفاعه لا يحتملُ التواضع، تنازل متواضعاً، بشكل غير متواضع أمام عبيده، وبصورة لا توصَف ولا تُدرك ... (الإيمان الأرثوذكسي ٤٥:١٠٣).

الراهب واللصوص

تاه أحد الرهبان في البرّيّة وأضاع طريق العودة، فراح يسير ساعات طويلة دون هدف إلى أن التقى بأشخاص عابري الطريق وكانوا لصوصاً أشراراً، فتوسّل إليهم أن يدلّوه على الطريق الصحيح، ولكنّهم استهزأوا به ودلّوه خطأ. فهم الراهب قصدهم، ولكنّه بقي صامتاً، ورافقهم إلى أن وصلوا إلى نهر كان عليهم اجتيازه، وفجأة ظهر لهم تمساح مخيف هدّد حياتهم بالخطر لو لم يتداركهم الراهب وينجّيهم معرّضاً نفسه للخطر بدلاً منهم. تأثّر أحد اللصوص من موقف الراهب، فوقع عند قدميه يطلب منه الغفران معترفاً بأنّهم لو استطاعوا عبور النهر لكانوا قتلوه من دون شفقة. ولكنّ طيبته وحُسن معاملته لهم غيّرتهم وردعتهم عن فعل الشرّ.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦٨)

الفصل السابع

إنقسام المملكة إلى مملكتين (٩٣١ ق.م.)

خامساً ـ المملكتان والحالة الدينية:

لأن المملكة الشمالية كانت تضم عشرة أسباط ومن هذا إحتفظت باسم إسرائيل فهي كانت أكثر تمثيلاً للقومية من المملكة الجنوبية، ولم تكن أوسع منها فحسب بل وأكثر منها في الروابط التاريخية، وإن كانت مملكة يهوذا قد إحتفظت بأورشليم المدينة المقدّسة وحبرون محل ذكريات الآباء فقد إمتلكت إسرائيل شيلوه بثروتها من الذكريات لخيمة الإجتماع وبيت إيل والرّامة والجلجال حيث أسّس صموئيل مدارس الأنبياء كما كانت هناك دان التي ظلّت مركزاً للعبادة مدّة طويلة (قض ١٨: ١٤).

وبعد أن بنى عمري السامرة لتصبح العاصمة الحديثة وتوجّه بسياسته التطلعيّة نحو الشمال والغرب، هبّت على مملكته عواصف الأراء السياسية ورياح العقائد الدينية بين الملوك والأنبياء ونرى مثلاً في إيزابيل وإيليا وفي أليشع وإنقلاب ياهو. وعلى ذلك كان ملوك إسرائيل من البداية إلى النهاية مرتدين يعبدون ألهة الأمم **العشتاروت وملكوم وشمش ومولك** (مل٥–٧)، ولم يجد اللاويون لهم مكاناً في مملكة إسرائيل فهاجروا إلى مملكة يهوذا ومعهم العناصر الروحية الأخرى، وسقطت إسرائيل في الوثنيّة البغيضة وأوغل الشعب يوماً فيوماً في عبادتها والتطبّع بعاداتها ونجاسة فجورها وهنا ظهر الأنبياء العظام يصرخون وسط الشعب بالرجوع إلى اللّه وينذرون الملك وكان منهم **إيليا وأليشع وميخا ويونان وهوشع وعاموس وزكريا وياهو** وجميعهم كانوا ينتمون إلى المملكة الشمالية وأُرسلوا إليها، أما تاريخ مملكة يهوذا فيشهد أنها إستمرّت أمينة في عبادَة اللّه ويتمتّع الهيكل بمكانته في نفوس الشعب ولكن لم يمنع ذلك أنها كانت في بعض الأحيان تنحرف عن اللّه إلى العبادة الوثنية، وكان ظهور الأنبياء فيها يدعون إلى الإصلاح لإمتداد الحياة الدينية وعبادة اللّه النقية.

سادساً ـ المملكتان وحالتهما الإقتصادية:

تدهورت الحالة الإقتصادية في إمبراطورية سليمان وابتدأت تضطرب شؤون المملكة فور موت سليمان، فانتكست التجارة وتوقفت قوافل التجار، وامتنعت الأراضي التي فتحها داود عن دفع الضرائب، وتوقّفت المشاريع التجارية مع الدول الكبرى مثل كيليكية ومصر وأفريقيا وسبأ ، وامتصّت الحروب الطاحنة سواء تلك التي حدثت بين المملكتين أو في النزاع مع الشعوب المجاورة أي نشاط للمملكتين الصغيرتين ، وقد مرّت المملكتان بفترة إنتعاش إقتصادي، فتحسّنت فيهما الأحوال، وذلك في عشرينات القرن الثامن ق.م. ، أثناء حُكم يربعام الثاني ملك إسرائيل ، وعزيّا ملك يهوذا، ولكن بنظرة عامة على تاريخ المملكتين كانت مملكة إسرائيل أغنى بكثير في الموارد الطبيعية عنها في مملكة يهوذا.

المملكتان بعد الإنقسام

تسير الأحداث التاريخية للمملكتين في خطّين متوازيين وتَلقَى التغيرات العالمية بتأثيرها المباشر على المملكتين، وتاريخهما يتفاعل مع قيام وسقوط الإمبراطوريات العظيمة في مصر والفرات، وتقع المملكتان فريسة للتنافس بين الشرق والغرب، وأحياناً يتداخل تاريخ المملكتين ويتقارب معاً فيحدث تزاوج ووفاق بينهما أو يتباعدان ويفترقان ويتناحران معاً. ويستمر ذلك إلى أن سقطت السامرة وتنتهي المملكة الشمالية، وتُكمل المملكة الجنوبية بقية تاريخها على مدى قرنين من الزمان بعدَ سقوط مملكة إسرائيل حتى تنتهي بخراب أورشليم والسبي إلى بابل.

القدّيسة باراسكيفي والملك

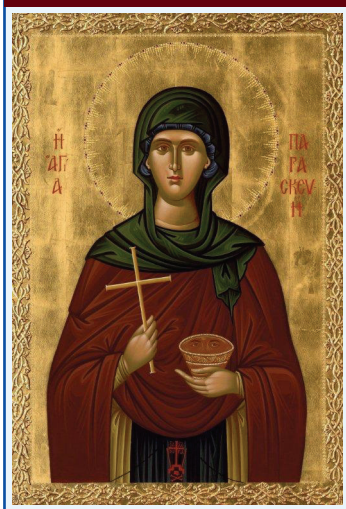

القديسة البارة باراسكفي الشهيدة

وُلدت القدّيسة باراسكيفي الشهيدة البتول (القرن الثاني) في رومية من أبوين تقيّين ماتا حين كانت باراسكيفي في ربيعها العشرين. فقامت ووزّعت ثروتها على الفقراء، وكرّست نفسها من أجل نشر الإنجيل.

وصل صيت نشاطها إلى الإمبراطور أنطونينوس، الذي كان لا يزال وثنياً حينها، فاستدعاها وحاول أن يعيدها إلى عبادة الأوثان. ولدى مشاهدته إصرارها على الإيمان بالمسيح، أمر بأن يضعوا في رأسها خوذة حديديّة محمّاة بالنار. ولكنّ اللّه حماها ولم تُصَب بأذى. وعندها أرسلها الملك مقيَّدة إلى السجن، إلى أن يفكّر ماذا سيفعل بها. وهناك كانت القدّيسة تصلّي بدموع وتقول: «ربّي اعضدني في إيمانك الحقّ، ونجّني من فخاخ العدوّ لأنّ إليك رفعت نفسي.»

وبينما كانت تصلّي، حوالي منتصف الليل، ظهر لها ملاك الربّ وهو يحمل في يديه صليباً منيراً وقصبة وإسفنجة وإكليلاً، وقال لها: «افرحي يا باراسكيفي مجاهدة المسيح. لا تخافي تعذيبات الحكّام. لأنّ الربّ تألّم وصُلب من أجل خلاص البشر، وسيكون معيناً لك.»

وللحين فكّ الملاك رباطاتها واختفى. استمرّت التعذيبات، لكنّ القدّيسة بقيت سالمة. ثمّ حُرِّضت على السجود للأصنام فأجابت بقول أرميا النبي: «لتهلك من الأرض الآلهة التي لم تصنع السماء ولا الأرض» (إر١٠: ١١) ، ومن ثمّ كابدت عذابات أليمة وأخيراً قُطِع رأسها سنة ١٤٠م.

قصة من الواقع

أين يختفي السم الزعاف؟

سرد أحد الآباء القدّيسين هذه القصّة لأولاده الروحيّين فقال:

منذ زمان بعيد كانت تعيش في الصين فتاة اسمها «ليلي» تزوّجت وذهبت إلى بيت حماتها لتعيش مع زوجها في بيت أسرته حسب عادة البلاد هناك.

ولم يمضِ قليل من الوقت إلاّ ووجدت «ليلي» أنّها لم تعد قادرة على المعيشة مع حماتها على الإطلاق. فإنّها وجدت أن شخصيّتها لا تتناسب، بل وتختلف كلّ الاختلاف مع شخصيّة حماتها، وكذلك شخصيّة حماتها تختلف أيضاً معها، فـ «ليلي» تغضب من عادات حماتها، والحماة تنتقد «ليلي» دائماً.

ومرّت الأيّام وعبرت الأسابيع و «ليلي» وحماتها لا تكفّان عن العراك والجدال. ولكن، ما جعل الأمر أسوأ هو أنّه بحسب التقليد الصينيّ يجب على الكنّة أن تخضع لحماتها وتطيعها في كلّ شيء. وقد تسبّب هذه المشاحنات المستمرّة لزوجها الحزن والألم الشديد. وأخيراً، وجدت «ليلي» أنّها لا يمكنها أن تقف صامتة هكذا أمام سوء أخلاق حماتها، ولا يمكن أن تقبل تحكّمها في ما بعد، فقرّرت أن تفعل أيّ شيء لتلافي ذلك.

وفي اليوم التالي توجّهت «ليلي» إلى صديق حميم لوالدها، السيّد **هويانج** ، تاجر أعشاب طبيّة في القرية التي تعيش بها، وأخبرته بكلّ الوضع، وسألته إن كان يمكنه أن يعطيها بعض الأعشاب السامّة حتّى تحلّ مشكلتها مع حماتها مرّة واحدة وإلى الأبد. فكّر **هويانج** ملياً، ثمّ قال لها: انظري يا «ليلي» سوف أساعدك على حلّ مشكلتك، ولكن عليك أن تنصتي لما سأقوله لك وتطيعيني.

فردّت «ليلي»: حاضر سوف أفعل كلّ ما تقوله لي. ودخل **هويانج** إلى الغرفة الداخليّة لدكّانه، ورجع بعد عدّة دقائق حاملاً رزمة من الأعشاب، وقال لـ «ليلي»: انظري، أنت لا تستطيعين استخدام سمّ سريع المفعول لتتخلّصي من حماتك، لأنّ ذلك سوف يثير الشكّ في نفوس أهل القرية. لذلك فقد أعطيتك بعض الأعشاب السامّة لكي يسري السمّ في جسمها رويداً رويداً. وعليك يوماً بعد يوم أن تعدّي لحماتك شراباً لذيذاً، وتضعي فيه قليلاً من الأعشاب، ولكي تتأكّدي من أنّه لن يشكّ فيك أحد حينما تموت، فلا بدّ أن تكوني واعية جداً أن تتصرّفي معها بطريقة ودّيّة جداً. فلا تتجادلي معها وأطيعيها في كلّ رغباتها، بل عامليها كأنّها ملكة البيت.

سُرّت «ليلي» جداً، وشكرت السيّد **هويانج** ، وأسرعت إلى البيت لتبدأ خطّة القتل لحماتها! ومرّت الأسابيع وتتابعت الشهور، و «ليلي» تُعدّ الشراب الخاصّ الممتاز كلّ يومين لحماتها، وتعاملها كأنّها أمّها.

وبعد مرور ستّة أشهر، تغيّر كلّ شيء في البيت. فقد بدأت «ليلي» تمارس ضبطها لغضبها من حماتها، حتّى أنّها لم تعد

الحكيم الصيني ، وجرعة السم

تتصرّف معها بحماقة. وظلّت «ليلي» لا تدخل في مجادلات مع حماتها لمدّة ستّة أشهر، لأنّ حماتها بدأت تعاملها بحنوّ أكثر. وهكذا تغيّر سلوك الحماة تجاه «ليلي»، وبدأت تحبّها وكأنّها ابنتها. بل صارت تحكي لصديقاتها وأقاربها بأنّه لا يوجد كنّة أفضل من «ليلي». وبدأت «ليلي» وحماتها يتعاملان معاً كأمّ حقيقيّة مع ابنة حقيقيّة. أمّا زوج «ليلي»، فعاد سعيداً جداً وهو يرى ما يحدث.

ولكنّ «ليلي» كانت منزعجة جداً من أمر بات يقلقها. فتوجّهت إلى السيّد **هويانج** وقالت له: «سيّدي هويانج، أرجوك أن تساعدني لتجعل السمّ الذي أعطيتني لا يقتل حماتي!!! فقد تغيّرت إلى سيّدة طيّبة، وصرت أحبّها كأمّي. أنا لا أريدها أن تموت بالسمّ الذي وضعته لها في الطعام!!!».

ابتسم **هويانج** ، وأطرق برأسه قليلاً، ثمّ قال لها: «لا تنزعجي يا «ليلي»، فأنا لم أعطك سمّاً، لأنّ الأعشاب التي أعطيتها لك كانت فيتامينات لتقوية صحّتها. **السمّ الوحيد كان في ذهنك أنت وفي مشاعرك تجاهها.** ولكنّ كلّ هذا قد زال بمحبّتك التي قدّمتها لها».

مكارم الأخلاق

والمرءُ بالأخلاقِ يسمو ذكرهُ
وبها يُفضلُ في الورى ويوقرُ
وقد تَرى كافراً في الناسِ تحسَبُهُ
جهنّميّاً ولكنْ طَيُّهُ الطّهرُ
وقد تَرى عابداً تهتَزُّ هيئتُه
وفي الضميرِ به من كفره سَقَرُ
أوغلْ بدنياكَ لا تنسَ الضميرَ ففي
طياتِه السرُّ عند اللّهِ ينحَصِرُ

سَقَرُ: علم لجهنَّم

أقدم ترنيمة لوالدة الإله

إن أقدم ترنيمة معروفة مُوجَّهة للفائقة القدسة والدة الإله الدائمة البتولية مريم هي:

«تحت حنانك نلتجىء».

Υπὸ τὴν σὴν εὐσπλαγχνίαν

عثر عليها في أقدم نص ضمن ليتورجية (قدّاس) عيد الميلاد الذي يرجع إلى القرن الثالث الميلادي. وهذه الترنيمة مكتوبة باللغة اليونانية القديمة، وترجع إلى عام ٢٥٠ ميلادية.

ففي عام ١٩١٧ ، اقتنت مكتبة «جون رايلاندز» John Rylands بأنچلترا ، مجموعة كبيرة من المخطوطات المصرية المكتوبة على ورق البردي Papyrus مقاس ١٨ X ٩،٤ سم، ومن بينها القصاصة الظاهرة في الصورة المرفقة، وتحوي نصاً لهذه الصلاة باليونانية القديمة.

وقد نشر العالم C. H. Roberts عام ١٩٣٨م هذه الوثيقة. وقد برهن زميله الجامعي « لوبل E. Lobel » ، الذي اشترك معه في نشر المخطوطات البردية التي عُثر عليها في منطقة البهنسا، بَرهَنَ على أنَّ هذا النص يرجع إلى زمن ما بين سنة ٢٥٠م وسنة ٣٠٠م ، أي ليس أقدم من القرن الثالث الميلادي.

وهذه الترنيمة هي أقدم من الترنيمة الكنسية المنتشرة في الكنيسة الغربية الكاثوليكية: «السلام عليكِ يا مريم» ربما بعدّة قرون.

ومن المهم أن نعرف أنَّ هذه الترنيمة تُلَقِّب القديسة العذراء مريم بلقب «الثيوطوكُس» ، أي «والدة الإله»، وبالترجمة الحرفية : «التي حملت في أحشائها اللّه الكلمة»، قبل أن يُقَرِّر هذا اللقب الآباء المجتمعون في مجمع أفسس المسكوني سنة ٤٣١م لإدانة الهرطقة النسطورية.

وقد كان هذا اللقب شائعاً منذ أوائل القرن الرابع في الإسكندرية (القديس ألكسندروس، القديس أثناسيوس، القديس سيرابيون أسقف تميّ الأمديد، العلاَّمة اللاهوتي ديديموس الضرير). كما كان شائعاً في مدينة «بوسترا» في شبه الجزيرة العربية.

وكذلك في فلسطين (المؤرّخ يوسابيوس القيصري أسقف قيصرية، والقديس كيرللس الأورشليمي أسقف أورشليم) .

وأيضاً كان هذا اللقب ذائعاً في كبادوكيا بآسيا الصغرى (القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك، القديس غريغوريوس اللاهوتي أسقف سازيما ، القديس ساويرس أسقف الجبلا).

وقد حدث جَدَلٌ حول التعبير «ثيوطوكُس» في القرن السابق لمجمع أفسس المسكوني. وبحسب المؤرّخ «سقراط» ، استخدم العلاَّمة الإسكندري أوريجانس هذا التعبير في تفسيره لرسالة رومية، هذا التفسير الذي فُقِدَ للأسف ؛ لكن ذَكَرَه المؤرّخ سقراط.

Hist. Eccl. VII, 32 ; PG 67,812 B

كذلك استخدم هذا التعبير أسقف الإسكندرية القديس ديونيسيوس تلميذ العلاَّمة أوريجانُس في القرن الثالث الميلادي، وذلك حوالي عام ٢٥٠م في رسالة موجودة حالياً، وهي موجَّهة إلى «**بولس السّموساطي**» أحد هرَاطقة العصر.

ومن المهم أن نعرف أيضاً أنَّ هذا اللقب لم يقتصر استخدامه كمفهوم لاهوتي فقط ؛ بل كان مستخدماً كثيراً من الشعب المسيحي في خدمات الصلوات الجمهورية.

وهذه الترنيمة أو مثيلاتها شائعة في صلواتنا الأرثوذكسيّة وعلى الأخص أثناء موسم الصوم الكبير.

ونعرض الآن الترنيمة:

الترجمة العربية	النص اليوناني الكامل	النص اليوناني غير الكامل في قصاصة المخطوطة
تحت حنانك نلتجئ	Ὑπὸ τὴν σὴν	ΕΥCΠΑ
يا أيتها الثيئوتوكُس.	εὐσπλαγχνίαν	ΚΑΤΑΦΕ
صلواتنا لا ترفضيها،	καταφεύγομεν	ΘΕΟΤΟΚΕΤ
بل في وقت المِحَن	Θεοτόκε· τὰς ἡμῶν	ΙΚΕCΙΑCΜΗΠΑ
أنتِ تُنجِّينا	ἱκεσίας μὴ παρ-	ΕΙΔΗCΕΜΠΕΡΙCΤΑC
أيتها الطاهرة وحدها،	ἴδῃς ἐν περιστάσει	ΑΛΛΕΚΚΙΝΔΥΝΟΥ
والمُباركة وحدها.	ἀλλ' ἐκ κινδύνου	...ΡΥCΑΙΗΜΑC
	λύτρωσαι ἡμᾶς	ΜΟΝΗ
	μόνη ἁγνὴ	...ΗΕΥΛΟΓ
	μόνη εὐλογημένη